

2 me Année, No. 33

Lundi-19-2-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ — ١٩ فبراير سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

فى الأقصـــر . . .

— ٤ —

لا تجد فى معبد الأقصر ما تجد فى معبد الكرنك من ذلك الاستغراق الذهنى الذى يمحو الوجود من ناظرك ، ويعفو الحاضر فى خاطرك، ويحييك مع أمينوفيس ورمسيس فى دهر واحد ! فان هذا المعبد يقع فى جبهة المدينة ونزهة الناس فلا تنفك وأنت فيه بين نظرة خادعة من مفاتن النهر ، وزفرة صادعة من بواخر كوك ، ولفظة صاخبة من لغط المارة : ولن تستطيع وعيناك تضطربان بين الهيكل والكنيسة والمسجد وقصر السلطان وونتر بالاس ، ان تحصر ذهنك فى موضع ، وتقصر فكرك على موضوع . فكل صورة من هذه الصور الموائل يمثل فكرة ويسجل نهضة ويؤرخ حقبة : أما معبد الكرنك فظل بنجوة من تيار الزمن الجارف ، ينعم بسكونه الشعرى فى اعتزاله ، ويتمتع فى جوه الفرعونى باستقلاله

* * *

فتنا سحر الأصيل عن شعر المعبد ، فذهبنا فى طريق السلطان حسين نشهد أروع مجالى الجمال فى الطبيعة . ومن حدثك أن بلداً من بلاد الله غير مصر يتمتع فى يناير بدفء يستجيش العرق والبهر ، وضوء يغمر القلب والنظر ، وصحو يدوم النهار والليل ، فهو ولا ريب لم ير الأقصر ! وأى منظر تألقت به قدرة الله ، وتأنقت فيه يد الطبيعة ، كمنظر الغروب فى طيبة ؟ فالشمس المصرية تغرب فى جلال

وراء الجبل ، وأشعتها الفاترة قد تجمعت حولها من سهول الوادى ، فلم يبق منها الا غرر تلمع فى أجنحة الطير وسعف النخل ورءوس الهضاب ، وشفقها الوهاج قد شب فى أطراف السلسلة اللوبية حريقا بارد اللهيب ايذانا بالمغيب ، والمشتون من سراة أوربا وأمريكا يطالعون فى شرفات الفندق اجمل ماخطته يد البارىء المصور فى صفحة الوجود ، وأنا واصدقائى الثلاثة نسير الهوينى على الشاطىء الضاحك ، يشيع فى دمائنا مجد هذا الماضى ، وفى أعصابنا عظمة هذا الوادى ، وفى أخلاقنا صراحة هذا الجو ، وفى مشاعرنا جمال هذه الطبيعة ، فنكاد من فرط الزهو نقول لمن نلتق من السائحين الغربيين : نحن تلية هذا المجد ، وصنيعة هذه الشمس ، وصورة هذا الجمال ، فهلا تروننا اخلص الناس جوهرا ، واصدقهم مظهرا ، وازكاهم أرومة ؟

وكان حديثنا فى هذه الساعة الجليلة نغمة منسجمة فى هذا اللحن السماوى الذى تنشده الكائنات كل يوم عند الغروب ، وماظنك بحديث نقى الحواشى يشققه أستاذ فى كلية الآداب، واستاذ فى كلية العلوم ، واستاذ فى كلية الحقوق ، وكاتب صغير من كتاب الرسالة ؟

* * *

كان صباح يوم العيد موعد (المقابلة الملكية) فعبرنا النهر فى رهط من أطباء المؤتمر ، ووقفنا بالضفة الأخرى نتحسس الآثار الهوالك ، فلم نجد أمامنا غير الحقول الزمردية تكسو السهل ، والجبال الوردية تسد الأفق . وكانت هذه الضفة الخلاء فى دهرها الغابر حيا من أحياء طيبة يسكنه محنطو الجثث وصناع المومياء ، فما كان يومئذ يموت انسان أو ينفق حيوان الا أتوا به هذا الحى فيمضى فيه أهله (عملية) الخلود ! !

انطلقت بنا السيارات بين الزروع الخضر أرتالا يسفى بعضها الغبار فى وجوه بعض ، فمررنا بالقرنة وقد خرج أهلها فى زينتهم يعيدون فوق المقبرة ! وأكبر الظن أنهم بقايا ذلك الحى البائد ، فهم يسكنون الجحور كبنات آوى ، وينبشون القبور كلصوص الموتى . وينحتون التماثيل كصانعى الآلهة ، ويخدعون بالتمائم كدهاة الكهنة !

وقفت بنا الحقول فجأة ، ثم أسلمتنا الى قفر من الأرض بعضه مرمل وبعضه مترب ، فسرنا فيه بين أعلام من الحجارة المنضودة ، حتى دفعنا الى شعب فى الجبل تكثر على جانبيه الغيران الموحشة والفجوات العميقة ، فتحسبها بادىء ذى بدء من أثر الوحوش الحافرة ، ولكنك تدرك بعد هنيهة انها من أثر الانسان الذى نكبت به هذه الأرض منذ أربعة آلاف سنة فلم يرفع معوله عنها الى اليوم ! ! شقها فدفن بها الملوك ! ثم شقها فسلب فيها الملوك ! ثم هو يشقها اليوم دائبا ليخرج منها الملوك !

اخذت طراوة النسيم تتخلف عنا رويداً رويداً حتى انقطعت ، وهب يناوحنا من فجاج الوادى الملكى جو ثقيل كجو مايو ، وأصبحت سلسلة الجبال فوقنا بعد ان كانت أمامنا ، ثم انعطف الطريق الصاعد بغتة فاذا السيارة أمام باب من الخشب ، وبواب من الناس ، وقائل يقول : هنا جبل الخلود وحرم الملوك ومثوى توت عنخ آمون ! !

الجبل من أعلاه الى أسفله قطعة واحدة من الحجر الجيرى الصلد لا تجد فيه صدعا ولا فرجة ! نقرت يد الانسان القديم فى أصله فتحة مربعة دخل منها الدليل ودخلناها على أثره ، فاذا سلم حادر يهبط بك قليلا أو كثيرا الى بئر عميقة تضلل اللصوص : ثم يعود فيهبط الى قاعة فسيحة تجمع أشتات المتاع ، ثم يعود فيهبط الى الحجرة تضم جثمان الملك ! وسقوف الحجر محلاة بصور من جماعات الكواكب ، وجدران الانفاق مغشاة بسور من كتاب الموتى : فالبرزخ الفاصل بين الحياة الفانية والحياة الباقية مصور كله فى وضوح ودقة ! فهنا الميزان ، وهناك الصراط ، وهنالك المطهر ، وفيما بين ذلك عقبات هائلة وحيات قاتلة لا يفلت منها الا من حمل جواز الأمان وعرف كلمة السر ! !

وقفنا حيال فرعون وهو راقد فى أكفانه الذهبية رقدة الضراعة والهون ! يشمت به الفناء ، ويسخر منه البقاء ، ويصيح فى أذنيه القدر :

لقد علوت فى الارض ، وغلوت فى الجبروت ، وسخرت الزمان لتخليدك ، والانسان لتمجيدك ، ثم كانت عاقبتك يافرعون هذه العاقبة المضحكة ! ! فصاحب اذنك خادم حقير ، وكبير أمنائك (ترجمان) أجير ، وشعبك العابث يحضر (التشريفة الكبرى) يوم العيد فى غير حلة رسمية ، ولا هيئة جدية ، وجلالتك الالهية كلها لم تقو إلا على الدود ، ولم تحظ إلا ببسمة ساخرة من ثغر الخلود ! !

احمد حسن الزيات

السياسة وعلم الاجناس

للدكتور محمد عوض محمد

يود الذين يشتغلون بعلم من العلوم لو أدرك الناس ان لكل علم حرما يجب ألا يدنو منه غير أهله إلا بشيء كثير من الحذر . ومع ذلك فان من الشائع المألوف ألا يكتفى الناس بالدنو والاقتراب من حرم هذا العلم أو ذاك ، بل ان الكثير منهم ليقتحم عليه الباب ويخترق الساحة ، ويستبيح الحمى . فى غير رفق ولا حذر ، ودون ان يستأذن أو يسلم

وهذا الاعتداء قد يكون من عامة الناس وجهلتهم . فلقد ترى الواحد من هؤلاء يصف للمريض الدواء الشافى والعلاج الناجع فى جرأة قلما نراها فى الطبيب المحنك الذى وعى فى صدره طب الأولين والآخرين . ولكن هذا الاجتراء على حرم العلم قد يكون أيضا - ويا للاسف - من رجال ينتسبون إلى الثقافة والى العلم ، وربما رأينا المثقف يعتدى - فى جرأة واعتداد بالنفس - على حرمة علم لم يدرسه ولم يلم به ، فيتحدث عنه حديث من أحاط بأطرافه وتوفر على درسه .

ولعل هؤلاء أشد خطراً من جهلة الناس وعامتهم . لأنهم مثقفون ، ولأنهم ألموا ببعض العلوم إلماما حسنا . فأكسبتهم ثقافتهم وعلمهم مكانة بين الناس ومقدرة على الافصاح عن آرائهم ليست للأمى الجاهل ، فهم اذا تحدثوا عن علم غير ما اختصوا بدراسته ، أخذ الناس عنهم أقوالهم من غير جدال ، لما لهم من المقدرة فى البيان ومن المكانة فى النفوس .

والذين راقبوا هذه الظاهرة بين رجال الثقافة قد أدهشهم أن يروا هؤلاء يتكلمون فى جرأة وفى ثقة ، عن أمور لا يتحدث عنها الاخصائيون الا فى حذر شديد . فيصدق فيهم المثل الانكليزى :

Fools rush where angels fear to tread

(يعنى السفهاء فى الجرى والاندفاع ؛ حيث تخشى الملائكة أن تمشى الهوينى)

* * *

أثارت هذه الخواطر فى نفسى مقالة للدكتور أحمد زكى فى الرسالة عنوانها « العنصرية » وقد رأينا فيها ما يعانيه علم جديد — وهو علم الأجناس (Ethnology) — من رجال السياسة ممن لم يلموا به إلماما صحيحا ، ولا جشموا أنفسهم مشقة مطالعة سفر واحد مما ألف فيه . وقل أن يكون بين العلوم علم لقى من هذه الناحية مثل مالقيه علم الأجناس .

فلقد كان من الشائع جدا أن المتكلم عن الأجناس البشرية يخلط بين الثقافة واللغة والدين فى تقسيم الناس إلى أجناس ، وبين صفاتهم الجثمانية البحتة كاختلافهم فى اللون والقامة وشكل الرأس والشعر . . وهى الصفات التى يجب أن تكون الأساس العلمى الا كبر — بل الوحيد — لتقسيم الناس إلى أجناس .

هذه الاختلافات الجثمانية أمرها قديم جداً . وللأسف لم ينشأ علم ولا علماء يعنون بمعالجة هذا الموضوع ودراسة السلالات البشرية دراسة علمية صحيحة إلا فى عصر حديث جداً ، ومما يؤسف له أن كثيرين ممن أوتوا حظا وافراً من الثقافة لا يزالون — بسبب حداثة هذا العلم — جاهلين حتى بمبادئه الأولية .

ولهذا قد نرى كثيرا من المسئولين من رجال الأدب والسياسة ينطق بألفاظ وعبارات عن الأجناس وأهميتها وأفضلية جنس على جنس فى صور لاتنم عن دراسة حقيقية للسلالات البشرية ولعلم الأجناس .

واختلاط السياسة بعلم الأجناس من أيسر الأمور . فان الدول كثيرا ما تصبح فى مقام المنافسة والمناظرة من أجل استنهاض همة الناس أو تقوية الروح القومية فيهم . فليس أسهل للوصول الى هذه الغاية من أن يفهم الناس أن سلالتهم أعظم السلالات ، وجنسهم ارقى الأجناس . وقد يتدخل رجال العلم فى هذا الأمر ، وينزلون عن عرش علمهم الى درك المنافسات القوية . وهذا أمر يستدعى الأسف ؛ ولكنه كثير الحدوث ، ولم تختص به المانيا النازية : كما يزعم خصومها . بل إن أشهر الكتاب فيه من غير الألمان

إن علم الأجناس لايرى فضلا لسلالة على سلالة ولا لجنس على جنس . حتى إن بعض المؤلفين (راجع مثلا كتاب Kroeber Anthropology) قد يخصص جزءا غير قليل من كتابه فى دحض الآراء الشائعة عن الأجناس ؛ فهو لابد له أن يهدم الخطأ قبل أن يبنى الصواب .

الاجناس كلها متساوية فى نظر العلم ؛ ولكن أكثر الناس قد وقر فى نفسه غير هذا . ومن قديم الزمان جداً يفخر كل شعب بأنه

هو الشعب الأعظم . وما سواه أمم بربرية . وهذا بالطبع لم يكن سوى صورة من صور الأثرة القومية . فاليونان كانوا يقسمون سكان العالم الى قسمين : اليونان والأمم البربرية . وهكذا يقول هرودوت فى مقدمة كتابه إنه سيقص فيه الحوادث العجيبة التى حدثت للهلينيين (اليونان) وللأمم البربرية .

وكذلك كان الرومان يعتقدون أن ما سواهم شعوب بربرية . ومن الغريب أن أهل الصين أيضا كانوا الى منتصف القرن التاسع عشر ينظرون الى الانكليز ومن اليهم بأنهم برابرة . والكلمة الصينية التى تفيد هذا المعنى : معناها الحر فى الاشخاص الذين يجلسون القرفصاء على الأرض : أى أنهم من الوحشية بحيث لا يتخذون كراسى لجلوسهم . وهكذا كان كبار رجال الدولة الصينية يخاطبون سفراء الملكة فكتوريا وكانوا يدعونها ملكة البرابرة حتى لقد كان هذا مما أحفظ الانكليز ؛ وكان من جملة الأسباب التى دعت الى اثارة حرب الأفيون .

ولئن كان الجرمان يفخرون بجنسهم اليوم . فكذلك كان يفعل الروس قبل الحرب ، فقد كانوا يمجدون الجنس السلافى ويزعمون أنه أرقى الأجناس جميعا .

ولعله ليس فى العالم شعب قد غلا – من هذه الناحية – الغلو كله مثل الشعب اليهودى ، الذى لم يكتف بأن ينادى بأنه الشعب المختار ، بل لقد أصبحت هذه العقيدة جزءا من الدين اليهودى لا سبيل الى فصلها عنه .

هذه النعرات القومية ، قد تكون من ضروريات السياسة ، ومن وسائل النهوض بأمة فى وقت من الاوقات . ولكن الواجب يقضى علينا بأن نفرق تفريقا صريحا بين صيحات السياسة ونظريات العلم .

هنالك نظرية أو رأى اثنولوجى خاطىء شاع فى الزمن الحديث ، ولا يستند على أساس علمى ولا تاريخى ، بل يحلو لأصحابه أن يتجاهلوا التاريخ تماما . وهذا الرأى هو القائل بأن الجنس الشمالى Nordic Race أو التيوتونى – الذى يمتاز بالشقرة والقامة الطويلة والعيون الزرقاء ، وغير هذا من الصفات الجسدية – هو أرقى السلالات البشرية . وانه لولاه لما كانت حضارة ولا رقى فى أى عصر من العصور .

هذا الرأى الجرىء لا يجوز ان ينسب الى الالمان ولا الى الهتلريين ، بل ان المؤمنين به فى أمريكا مثلا أكثر من القائلين به فى المانيا . ومن الغريب أن أول من قال بهذا الرأى الكونت جوبنو الفرنسى فى كتابه :

Essai Sur L'inégalité des Races humaine

وفى هذا الكتاب يزعم المؤلف ان التيوتونيين هم أرقى الاجناس البيضاء جميعا ، وأفضل السلالات البشرية على الاطلاق من حيث قدرتهم على خلق الحضارة بجميع عناصرها المادية والأدبية .

وقد شاع كتاب جوبنو هذا فى وقت كانت فيه المنافسة بين فرنسا وألمانيا بالغة منتهى الشدة (بين عام ١٨٦٠ وعام ١٨٧٠) ولما كان أكثر الشعب الفرنسى من غير التيوتونيين ، وأكثر الالمان منهم فقد كان كتاب جوبنو هذا بمثابة الفضل الذى شهدت به الاعداء .

وقد رد على جوبنو ودحض مزاعمه كثير من الكتاب ، ولكننا لا نزال الى وقتنا هذا نرى كتبا تنشر فى انكلترة وفى أمريكا خاصة ، وكلها فى تمجيد الجنس التيوتونى وتفضيله على سائر الاجناس . ومن شاء الاطلاع على شىء من هذا فليراجع كتاب الاستاذ ماديسون جرانت Madison Grant وعنوانه The Passing of the Great وكتاب الاستاذ ماكدوجال وهو من كبار علماء النفس فى الولايات المتحدة وعنوانه Race National Welfare And National Decay.

وكلاهما ينادى فى مؤلفه بضرورة الحرص على الجنس الشمالى والاكثار منه لانه العماد الاكبر لحضارة أمريكا ؟

ومن الغريب أن الولايات المتحدة حين سنت قانون المهاجرة منذ نحو عشر سنين سمحت بالمهاجرة الى بلادها لعدد عظيم من سكان البلاد التى يسود فيها الجنس التيوتونى . مثل اسكندناوه والمانيا وانكلترة وهولندة . ولم تسمح الا بعدد قليل من المهاجرين من الأقطار الأخرى .

وهذا مثال خطير لتطبيق نظرية لا تقوم على أساس فى مسألة دولية خطيرة . وبرغم الاحتراس الشديد الذى يبديه علماء الأجناس أنفسهم ، لا نزال نرى الكثيرين يتحدثون فى موضوع الأجناس من غير تدبر ولا حذر .

محمد عوض محمد

قيمـــة الثقافة

للأستاذ احمد أمين

للثقافة قيمة ماليـــة مقررة . فالليسانس والدكتوراه والدبلوم وما الى ذلك من الأسماء ، هى عنوان للثقافة ، أو بعبارة أخرى تتويج لمجهود سنين قضيت فى تحصيل العلم ، وتأتى « المالية » بعد فتقدر هذه الدرجات بالجنيه والمليم ، وتجعل لكل منها قيمة مالية خاصة ، ولها العذر فى أن تخالف بين الدرجات ، وتسوى بين حاملى الدرجة الواحدة وإن اختلفوا فى مقدار الثقافة ، لأنه لم يخترع الى الآن مقياس دقيق يوزن به الفكر ومقدار استعداده وزناً صحيحاً . ولو اخترع هذا الميزان لألغيت الدرجات ، واكتفى بوزن الكفايات ؛ ولكن من لنا بذلك وقد عجزت المدنية الحديثة عجزاً تاماً عن اختراع هذا الميزان .

وللثقافة كذلك قيمة اجتماعية ، فالثقافة ترفع من كان من طبقة وضيعة ، الى ان يكون أحيانا مساويا لمن كان من طبقة رفيعة ، فحامل الشهادة العليا يرى نفسه ـ وقد يرى الناس معه ـ أنه صالح لأن يتزوج من طبقة راقية ، مهما كان منشؤه ومرباه . وقديماً قال الفقهاء فى « باب الزواج » : إن شرف العلم فوق شرف النسب ـ والمثقف الراقى له الحق أن يكون عضواً فى الأندية الراقية من غير أن يسأل عن نسبه وحسبه ـ بل له أن يُدِلّ على أبناء الطبقة الأرستقراطية إذا نال درجة لم ينالوها ، وعرف من أنواع الثقافة ما لم يعرفوا ، وله من حرمة الناس فى المجتمعات والأندية ما لا يناله غير المثقفين ، وإن كانوا من بيت خير من بيته ، وفى نسب خير من نسبه .

ولكن لا أريد أن أتحدث فى شيء من هذا ولا ذاك ، فليست تعنينى الآن الناحيـة المالية للثقافة ، ولا الناحية الاجتماعية لها ـ وإنما أريد أن أتساءل : ما القيمة الذاتية للثقافة ؟ إن المال واحترام الناس عرض خارجى ، فما القيمة الثابتة التى تتصل بنفس المثقف ولا تفارقها فى فقر أو غنى ، وفى جاه وغير جاه ؟

أهم قيمة ـ فى نظرى ـ لثقافة المثقف هى كيفية نظره الى هذا العالم . ذلك بأن عيون الناس فى نظرها الى الأشياء وحكمها عليها ليست سواء ، فعيونهم الحسية وإن اتفقت فى الحكم على الألوان بالسواد والبياض والحمرة والصفرة ، وإن اتفقت فى الحكم على الأبعاد قرباً وبُعداً ، وإن اتفقت فى الحكم على الأحجام كبراً وصغراً ، فان العيون النفسية لا تتفق فى نظرها ولا حكمها ، فالشيء فى نظر الأبله غيره فى نظر الفيلسوف ، وبين هذين درجات لا حدّ لها ، وليس للشيء الواحد معنى واحد ، بل معان متعددة تتسلسل فى الرقى ، والناس يدركون من معانيـــه بحسب استعدادهم وثقافتهم وأذواقهم .

وقد حكوا أن عيسى عليه السلام مرّ هو وأصحابه بجيفة فقالوا : ما أخبث رائحتها ! وقال هو : ما أحسن بياض أسنانها ! ونظر الرجل العادى الى حديقة مزهرة غير نظر الاديب الفنان ، هذا ينظر اليها فيقرأ فيها من المعانى والجمال ما يمتزج بنفسه ، ثم يسيل على قلبه كأنه قطع الرياض ـ وذاك ينظر اليها نظرة مبهمة ، لا تُسفر عن معنى ، ولا تعرُف لها وجهة ، نظرة بليدة جامدة ، لا يسعفها ذوق ولا تخدمها قريحة .

ومثل هذا فى كل شيء يعرض على العين ، فكل شيء فى السماء وفى الارض لا يحمل معنى واحدا بل معانى متعددة ، وقيمة الثقافة ان تنقل العين من أنظار سخيفة ومعان وضيعة الى أنظار بعيدة ومعان سامية . فالاديب اذا لم ينظر فى المرأة الا الى حسن جسمها وتناسب أعضائها لم يكن أديبا مثقفا وقلنا له كما قال المتنبى

وما الخيل الا كالصديق قليلة
وان كثرت فى عين من لا يُجرّب

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها
وأعضائها فالحسن عنك مغيب

ففرق كبير بين ان تنظر الى المرأة كشيطان وان تنظر اليها كانسان وان تنظر اليها كملك ـ وفرق كبير فى كل شيء فى الوجود يعرض على أنظار الناس

وكل انسان له نظراته فى العالم من اسفل شيء الى أرقى شيء، من مادة تحيط به ومال يعرض عليه وأعمال تتعاقب أمام نظره واله يعبده ـ هو فى كل ذلك قد يكون سخيفا فى نظراته، وضيعا فى رأيه، وضيعا فى حكمه. وقد يبلغ فى ذلك كله من السمو منزلة قل أن تنال. وعمل الثقافة ان تنتشله من تلك النظرات الوضيعة الى هذه النظرات السامية

وليست نظرات الانسان الى الحياة قوالب من طوب، كل قالب مستقل بنفسه، محدود بحدوده، انما هى كسائل لطيف اذا لونت نقطة منه بلون تشبع اللون فى سائر السائل، واذا سخنت جزءا منه وزع حرارته على السائل كله حتى يتعادل ـ بل الرأى والنظرات ألطف من ذلك وأدق وأرق. فاذا رقى النظر الى شيء أثر ذلك رقيا فى سائر النظرات. فكل نظرات الحياة متأثرة بنظرك الى نفسك والعكس، بل نظرك الى الله تعالى متأثر بنظرك الى العالم المحيط بك ـ وهذا مايجعل الثقافة فى أية ناحية من النواحى الأدبية والعلمية يؤثر أثرا كبيرا فى النواحى الأخرى حتى مانظن أن ليست له صلة به. وقد أصاب صديقى يوما اذ كان يقول « ان رقى الامة فى الموسيقى وتذوقها الصوت الجميل والغناء الجميل يجعلها تتعشق الحرية وتأنف الضيم وتأبى المذلة » فمحيط المخ والعقل والشعور محدود، كل ذرة فيه تتأثر بأقل شيء وتؤثر بما تأثرت ـ والفكرة الجديدة قد تدخل فى الفكر فتقلبه رأسا على عقب وتجعل من صاحبه مخلوقا جديدا يقل وجه الشبه بينه وبين ما كان من قبل، فتجعله فى أعلى عليين أو أسفل سافلين

ان كان هذا صحيحا، وكانت قيمة الثقافة الذاتية فى مقدار ما رفعته فى المثقف من وجهة النظر الى الاشياء وتقويمها قيما جديدة أقرب الى الصحة، أسلمنا ذلك الى نتائج خطيرة ـ فدين خير من دين بمقدار ماتحاول تعاليمه من رفع مستوى النظر الى الله تعالى والى الحياة ـ وعلم خير من علم باعتبار مايؤدى اليه من نظر راق صحيح ـ وثقافة الانسان لاتقدر بمقدار ماقرأ من الكتب وماتعلم من العلوم والآداب ولكن بمقدار ماأفاده العلم، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم، وبمقدار ما اوحت اليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال.

أحمد أمين

بل . . . صفحة بيضاء !

للأستاذ حسن جلال

كتب الأستاذ الكبير ـ أحمد أمين ـ تحت عنوان « صفحة سوداء » مقالا عن مصر كما يراها بعض مؤرخى العرب. فجمع كثيرا مما قاله القوم فى المصريين وفى طبيعة بلادهم. وكيف أن أرض مصر « تولد الجبن والشرور الدنيئة فى النفس حتى أن الأسد لم تسكنها ـ وهى إذا دخلت أرضها ذلت ولم تتناسل! وكلابها أقل جرأة من كلاب غيرها من البلدان، وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره فى البلدان الأخرى » اه

وقد تفضل الأستاذ فرد على هذه التهم ولا سيما التهمة المسندة إلى كلاب مصر فانه أبدع فى تفنيدها وأشاد بذكر أرمنت وما يستطيع أن يفعله كلابها بجلد المؤرخ الذى فرط منه ذلك القول ونحن نشكره هنا . . . بلسان أرمنت وما فيها!

* *

ولكن بقيت بعد ذلك تهمتان نريد أن نقول نحن أيضاً فيهما كلمتين: أما التهمة الأولى فهى الخاصة بأرض مصر وأن الأسد لا تسكنها، وأنها إذا سكنتها ذلت ولم تتناسل فيها لأنها ترث الجبن عن هذه الأرض. وهذا قول عجيب، فكأن التناسل من أعمال الشجاعة فى نظر ذلك المؤرخ الذى يحيط علمه الواسع ولا شك بما قال الشاعر من أن

« بغاث الطير أكثرها فراخا »

والحقيقة الواقعة أن التناسل لا دخل له بالقوة ولا بالضعف

ولا بالجبن ولا بالشجاعة . عن أننا نكتفى فى هذا الصدد بأن نحيل حضرة المؤرخ المحترم — كما يقول البرلمانيون — الى حدائق الحيوان بالجيزة فهى كفيلة وحدها بالرد على دعواه . وفى (بيت الأسود) فيها من الاشبال الكثيرة التى نبتت على أرض مصر وتحت سمائها ما يكفى لتفنيد مزاعمه !

*

والآن بقيت تهمة أرض مصر بأنها تفسد أهل مصر وتجعل مافى مصر أضعف من نظيره فى البلدان الاخرى . وهذا ما نريد أن نقول فيه كلمة قصيرة . ونحن نطمع فى أن يتصدى للادلاء بالقول الفصل فى هذا الموضوع رجال هم أقدر منا على ذلك بحكم علمهم ووقتهم واطلاعهم . على أنا نرى الموضوع لا يكفى فيه رد واحد يطلق فى صحيفة واحدة ثم تنطوى الصفحة وينسدل الستار ، ونبقى نحن على ما عشنا فيه من الاتهام بالذل والضعف حتى من بعض مؤرخى العرب كأن لم يكفنا مانلقاه نحن وهم على يد الافرنج من التجنى إذ يقولون عنا - Les Arabes - ويقصدون بهذه اللفظة المفردة كل ما تنطوى عليه الفاظ الوحشية والهمجية والتأخر من المعانى !

ولعل الوقت الحاضر أنسب الاوقات للاكثار من البحث فى هذا الموضوع ورد الحق الى نصابه والأشادة بمكانة المصرى ومقدرته وما يمكن أن يأتيه من جلائل الأعمال لو تهيأت له الظروف . فلقد رأينا أخيرا أن هذه الدعوى التى رمانا بها مؤرخو العرب وغيرهم قد بات يحلو ترديدها فى فم بعض المصريين أنفسهم عن يقين منهم بصحتها . وتلك آفة الآفات والنكبة التى ما بعدها نكبة لهذه البلاد ، فان الايحاء أفعل من السحر . وانك لتستطيع أن تستأنس النمر الشرس لو أتيح لك أن تفهمه أنه هر أليف ؛ ثم تمضى تردد على سمعه هذا القول الهراء . فلينظر الذين يحلو لهم ترديد مثل ذلك القول المنكر إلى أين يهبطون بأنفسهم وبجيلهم وهم يهرفون بما لا يعرفون !

*

لقد قالوا إن الشعب المصرى شعب ذليل بحكم سمائه وارضه . كذبوا ؛ فان سماء مصر وأرضها لاتنبتان الذل . وانما تنبتان العزة والقوة والقدرة على الاستدلال . وإنى لأستنكف أن أذكر الفراعنة فى هذا الصدد حتى لا يقال احتمى بمجد أمة ماضية ، ولاذ بعزة قوم غابرين . ولكنى أكتفى بأن أنظر الى ما عليه مصر الآن . فان هذه البلاد العجيبة لما ينقض على نهضتها الأخيرة ربع قرن ، ومع ذلك برز من بين أبنائها أبطال عالميون فى مختلف ميادين الحياة . لقد ظهر فيها اسماعيل سرى المهندس ، وعلى ابراهيم الجراح ، وخليل عبد الخالق البيولوجى ، ونبتت فيها لطفية النادى الطيارة ، ومحمود مصطفى المصارع ، وسيد نصير الرباع ، ونشأ بين أرضها وسمائها طلعت حرب المالى الكبير . ولست أذكر رجالا ظهروا فى مستهل هذه النهضة ففتحوا الشام وهزموا الوهابيين واستعمروا السودان . فكل أولئك وغيرهم ما كادوا يلجون ميادين أعمالهم حتى تخطوا كل قرنائهم فى أنحاء العالم . وحملوهم على التنحى لهم عن الصدر فتبوأوه ورفعوا راية مصر عالية فوق رءوس الجميع .

فما هو مدلول هذه الظاهرة عند كل ذى عينين غير أن الأمة التى أنجبت كل هؤلاء الأبطال فى جيل واحد — وفى هذه الظروف القاسية التى تجتازها مصر الآن — لا يمكن أن يكون معدن أهلها كمعدن أهل غيرها من بلاد الله . وأنها لابد تمتاز على من عداها فى حسن فطرتها وقوة ملكاتها وسلامة استعدادها .

ولئن كانت قد طغت على هذه البلاد موجات من الضعف والتأخر فهذه هى سنة الطبيعة فى كل شىء . فما من شعب يدعى اضطراد سيره فى سبيل التقدم والرقى منذ خلقه الله ، وأنه لم يطرأ عليه من عوامل الضعف ما جعله فريسة لغيره من الشعوب (وتلك الايام نداولها بين الناس)

ولئن صح ما يقال من أن دولا كثيرة استعمرت مصر ، فصحيح أيضا أن مصر من دون البلاد التى استعمرت كانت هى التى تأكل مستعمريها وتطبعهم بطابعها قبل أن تنطبع هى بطابعهم !

لقد حكم الاتراك مصر واشتهرت تركيا بفخامة مساجدها وعظمة قصورها . وأن هذه المساجد وتلك القصور لتشهد للصانع المصرى بأنه هو الذى زينها ووشاها ، ورفع سمكها وسواها .

ولقد ولى (محمد على الكبير) أمر مصر ولم تك إلا نفخة قوية من صدره الشديد حتى انجاب عن جمرة مصر رمادها الذى خلفه عليها عجز المماليك ، فتوهجت هذه الجمرة ونضنض لهيبها ثم اشتعل واندلع لسانه طويلا فلف فلسطين والشام والحجاز والسودان وكاد يحرق استامبول نفسها ؛ وروعت أوربا من طغيانه نحوها ، وأشفقت على سلطانها فى الشرق أن تلفحه هذه النار ؛ فاجتمع العالم الغربى

فضائح المالية العليا فى فرنسا

للاستاذ محمد عبد الله عنان

(تتمة)

حدثت فى فرنسا ، مذ كتبنا مقالنا الاول ، تطورات سريعة خطيرة لم تكن فى حساب أحد ؛ فان وزارة مسيو دالاديه التى عقبت وزارة مسيو شوتان أو وزارة « الفضيحة » لم تستطع أن تواجه غضب الرأى العام أو أن تهدىء روعه ؛ ووقعت فى باريس وفى الأقاليم مظاهرات ومصادمات دموية خطيرة قتل فيها مئات وجرح ألوف : وشحنت حامية باريس بالجند المدجج تحوطا للطوارىء ، ولاح مدى لحظة أن فرنسا ستغدو فريسة الحرب الاهلية ، أو يتحطم فيها النظام الجمهورى لتقوم مكانه دكتاتورية مطلقة . ولكن وزارة دالاديه استقالت فى الحال ؛ واستدعى مسيو دومرج رئيس الجمهورية الاسبق ليؤلف وزارة ثقة قومية ، وقد وفق مسيو دومرج الى تأليف وزارته من شخصيات قوية بعيدة عن ريب الفضائح الأخيرة ، وهدأ الرأى العام نوعا ، ووقفت المظاهرات مؤقتا . ولكن فرنسا ماتزال مترقبة جزعة ، ومن المستحيل أن يتنبأ انسان بما قد يقع بعد هذا الهدوء المؤقت من الحوادث أو التطورات

كانت فضيحة ستافسكى المالية التى فصلنا حوادثها وظروفها روح هذه التطورات الخطيرة وباعثها الاول . ويندر أن نجد فى صحف التاريخ الحديث جريمة أو جرائم مالية كالتى ارتكبهـــا ستافسكى ، تحدث فى سير الحياة العامة لامة عظيمة كفرنسا مثل هـذه الآثار الفادحة ، فتهدد سلامة نظام عريق بأسره كالنظام الجمهورى ، وتدفع شعبا عظيما إلى نوع من الثورة أو الحرب الاهلية . ولكن فضائح ستافسكى كانت فى الواقع وصمة للنظام باسره ، وكانت دليلا ساطعا على أن عوامل الفساد والانحلال قد سرت الى جميع نواحى الحكم والادارة . والحياة العامة الفرنسية كلها ، وقد شهد الشعب الفرنسى فى روعة وسخط كيف يكشف التحقيق تباعا عن أن من بين وزرائه ، وحكامه وقضاته ونوابه رجالا يلحق الريب بذممهم ونزاهتهم ، وكيف أن المجرمين الذين يدبرون اغتيال أموال الشعب يستطيعون بالرشوة أن يشتروا أولئك الذين اختارهم الشعب للسهر على أمواله ومصالحه ، وان يستظلوا بحماية أولئك الذين عهد اليهم بقمع الجريمة ، وان يجعلوا من القانون والقضاء اداة مشلولة . وقد رأينا مما تقدم كيف أن ستافسكى ، وهو متهم بعدة جرائم نصب وتزوير ، استطاع مدى ثمانية أعوام أن يتفادى نظر القضاء لقضيته ، وان يفوز بتأجيلها تباعا عشرات المرات ، وانه لبث أعواما يمرح فى جرائمـــه واختلاساته مع أنه معروف لدى دوائر البوليس ، ولم تكن جرائمه سرا من الاسرار ، فأى دليل أسطع على فساد القضاء وتدهور القانون والأمن والنظام ؟

وقد حاولت وزارة مسيو شوتان التى ظهرت فى ظلها هذه الفضائح ان تقمع الفســاد بسرعة ، فابعد منها الوزيران اللذان اتجهت اليهما الشبه ، وهما مسيو دالامييه وزير المستعمرات ووزير العمل السابق ، ومسيو رينالدى وزير الحقانية ، وقدمت الى البرلمان مشاريع قوانين بمعاقبة الرشوة والموظفين المرتشين بأشد العقوبات ، وقبض على مدير البوليس القضائى وبعض زملائه ليحقق معهم ، وقبض على النائبين جارا وبونور اللذين ثبت انهما تلقيا مبالغ طائلة من الافاق ستافسكى وعاوناه فى مشاريعه لدى الرجال المسئولين ، وأحيل عدة قضاة من رؤساء الدوائر وأعضاء النيابة الى المحاكمة التأديبية لانهم تهاونوا فى نظر قضية ستافسكى فتركت معلقة عدة أعوام دون أسباب معقولة ، ولكن هذه الاجراءات كلها لم تقنع الشعب ولم ترضه . وبدا للشعب بحق أن الجريمة أوسع مدى مما ظهر ، وأن الداء أشنع وأبعد أثرا مما صور ، وكان من اصراره وسخطه واضطرامه ان استقالت الوزارة « الملوثة » ،

كله ليقف فى وجه مصر ليكبح جماح المصريين يوم أن أفاقوا من سباتهم وتفتحت أعينهم من جديد على النور !

***

هذا هو الشعب المصرى الذى لايمكن إلا أن يكون عظيما لأن العظمة فى دمه ولحمه . فى ماضيه وحاضره . فى أرضه وسمائه !

***

وحق مصر : لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا !

حسن جلال

واستقالت من بعدها وزارة دالادييه ، لأنها تستند الى نفس الاحزاب التى ينتمى اليها الرجال « الملوثون » ؛ وجاشت باريس وفرنسا كلها بموجة ثورية ، كادت تكتسح فى طريقها كل شىء لو لا أن تذرع الرجال المسئولون بقية من الشجاعة والحزم ، وتقدم الرئيس الشيخ دومرج ليضطلع بأعباء الحكم فى هذا المأزق العصيب ؛ فألف وزارة ثقة قومية ارتضتها البلاد واستطاعت أن تبث نوعاً من الطمأنينة .

* * *

والآن لنعد الى ستافسكى بطل هذه الفضائح المروعة التى كادت تبث الى فرنسا ضرام الحرب الاهلية

لقد شرحنا فيما تقدم طرفا من الحياة المالية العجيبة التى خاض غمارها هذا الافاق البارع ، وكيف انه ارتفع من العدم الى صف أعظم رجال المال ، وانشأ شركات وبنوكا عديدة ، وانتهى بأن انشأ بنك التسليف البلدى فى بايون ، واتخذه مع شركائه اداة لاصدار سندات مزورة بمئات الملايين كان يستولى على قيمتها ويبددها على بذخه ولهوه ، وشرحنا طرفا من الوسائل والاجراءات التى كان يتبعها لاختلاس هذه المبالغ الطائلة ، وكيف اكتشف أمره أخيرا وقبض على شريكه ومساعده الاول تسييه مديربنك بايون ، فبادر بالاعتراف وقص على المحققين كيف كان هذا الاختلاس الهائل يدبر وينفذ مدى هذه الاعوام ، والقى كل مسئولية فيه على ستافسكى وزعم أنه ضحية نفوذه وإكراهه المعنوى .

وكان اكتشاف الحادث فى يوم ٢٢ ديسمبر ، فى نفس اليوم غادر ستافسكى مسكنه الفخم بحى الشانزليزيه بباريس وودع زوجه وولديه ، وقال انه مسافر الى فينا لاعمال هامة . ثم اختفى فى نفس الوقت الذى صدر فيه أمر قاضى التحقيق بالقبض عليه ، وابلغ هذا الامر الى جميع مراكز البوليس والنيابة فى فرنسا ، والى جميع سلطات الحدود ، وطير الامر بواسطة الراديو واللاسلكى الى جميع البواخر الراسية فى الثغور الفرنسية والمسافرة فى عرض البحر ، فلم يكن ثمة وسيلة لأن يغادر ستافسكى فرنسا أو يجتاز الحدود الى أى بلد أجنبى ، وأطلقت فى أثره مئات من رجال البوليس السرى فى جميع المواطن التى يظن أنه قصد اليها ، ولكن ستافسكى ظل مختفيا عن العيان ، ولم يظفر انسان بأثره ، وأصرت زوجه على أنها لا تعرف شيئا عن مصيره ومكان اختفائه ولم تهتم قط بأن تعرف شيئا عن اعماله المالية .

على أن ادارة البوليس كانت على ثقة من أن ستافسكى لم يغادر فرنسا وأنه لازال مختفيا بها بمعاونة بعض أصدقائه . وقد اسفرت تحرياتها المتواصلة فى النهاية عن تأييد هذه الحقيقة ، واستطاع بعض رجال البوليس السرى بعد أسبوعين من البحث والتنقيب أن يعثروا بآثار بعض أصدقاء ستافسكى فى مدينة « شومونى » احدى مدن الجنوب الجبلية ، واجتمعت لديهم القرائن والأدلة على أن الهارب قد التجأ الى هذه الناحية القاصية . وكان ستافسكى قد فر الى هذا المكان بمعاونة اثنين من موظفيه السابقين الذين كان يغدق عليهم عطفه وعطاءه ، واستاجر له أحدهما فى « شومونى » منزلا صغيرا منعزلا باسم مستعار ، ولجأ اليه ستافسكى مع صديقيه باسم مستعار أيضا ، ولزم غرفته ولم يغادرها ، فحاصر رجال الشرطة هذا المنزل بعد أن وثقوا من أنه هو المقصود ، وأن ستافسكى موجود فيه بلا ريب . ثم صعد بعضهم الى الطابق الأعلى ، وطلبوا الى ستافسكى أن يسلم نفسه ، وكان معتصما بغرفته ، فلم يجبهم أحد ، فاستمروا فى البهو الخارجى حينا يطلبون التسليم دون جدوى . وأخيرا دوت من الغرفة المحصورة طلقة نار ، وهوى جسم على الارض ، فكسر رجال البوليس باب الغرفة فى الحال ، فالفوا ستافسكى بعينه ملقى على الارض مضرجا بدمه فى النزع الاخير وقد اخترقت الرصاصة رأسه . وكان ذلك فى الثامن من شهر يناير الماضى .

هذا هو البيان الذى قدمته إدارة البوليس عن مصرع ستافسكى بطل الفضيحة الكبرى ، ورددته معظم الصحف الفرنسية . ولكن ثارت حول هذا البيان ريب وشكوك خطيرة ، وأنكرت بعض الدوائر صحته ، وأكدت أن ستافسكى لم ينتحر ، ولكن البوليس قتله قتلا لكى يخرس بذلك لسانه الى الابد فلا يفضى إلى المحققين بشىء من الاسرار التى يعرفها ، ولا يفضى بالاخص باسماء شركائه ومنهم كثير من الرجال المسئولين ، وبذلك يسدل الستار على أهم جوانب الفضيحة . وقد رددت هذه التهمة بقوة ، وقذف بها فى مجلس النواب فى وجه الوزارة ، واهتم لها الرأى العام . ويدلل أصحاب هذا الاتهام على صحته بقرائن شتى ، منها أن ستافسكى لو كان ينوى الانتحار لانتحر منذ البداية ، ولم يتكبد مشاق الفرار والاختفاء

وأن رجال البوليس حينما داهموه فى مخبئه انتظروا نحو ساعة قبل أن يحاولوا القاء القبض عليه ؛ وأن رئيسهم اتصل أثناء ذلك تليفونيا بادارة البوليس فى باريس مع أنه كان يحمل أمراً صريحا بالقبض على ستافسكى ، ثم يقولون أيضا إن ستافسكى ترك بعد مصرعه طريحا ينزف الدم منه نحو ساعة ونصف ساعة قبل أن يسعفه الطبيب وسمح للمصورين أن يصوروه وهو فى هذه الحالة الخطرة ؛ وأن المقصود بذلك كله أن يهلك ستافسكى قبل أن يستطيع الافضاء بشىء. وهذه أقوال لها قوتها بلا ريب . ونحن من جانبنا نرجح مقتل ستافسكى لا انتحاره ، خصوصا وانه ثبت من التحقيق أن البوليس كان يتستر على ستافسكى ، وان بعض أكابر ادارة الشرطة الباريسية وفى مقدمتهم مسيو جيشار مدير البوليس القضائى كانوا يتلقون منه الاعانات الطائلة ، هذا الى أن الاختام القضائية لم توضع على مسكن ستافسكى الباريسى ، وعلى مكاتبه الا بعد عدة أيام من فراره ، ولما فتشت لم توجد بها أوراق تفيد التحقيق فى شىء :

***

هكذا كانت خاتمة سرج ستافسكى أعظم أفاق ومختلس فى العصر الحديث ؛ بيد أن هذه الخاتمة لم تنجع شيئاً فى تهدئة اضطراب الرأى العام ، ولم تفعل سوى أن أثارت على وقائع الفضيحة وظروفها ظلاما جديداً . هل قبض على جميع المجرمين المسئولين عن تبديد أموال الشعب بهذه الجرأة المثيرة ؟ أم بقى الاكابر المرتشون المتسترون كالعادة فى الظلام ؟ هذا ما يتساءل الشعب الفرنسى عنه اليوم . والظاهر أن الشعب الفرنسى لم يقنع بان ما اتخذ من اجراءات القبض والتحقيق يكفى لقمع ذلك الفساد الذى يقضم النظم والحياة العامة كلها . فقد سقطت وزارة دالادييه أمام غضب الشعب وسخطه ، ولكن وزارة دومرج التى قامت مكانها ما تزال تصطدم بهذا السخط ، وما تزال العاصمة الفرنسية تضطرم بمختلف المظاهرات ؛ وما يزال الجو فياضا بمختلف الاحتمالات ، والرأى العام لا يقف عند المطالبة بمعاقبة المجرمين المغتالين لأموال الشعب أياً كانت مراكزهم وصفاتهم ، ولكنه يطالب أيضا بتطهير الحياة العامة من تلك الادران المشينة ووضع الضمانات الكفيلة بطمأنينة الشعب على أمواله وثقته بأن وزراءه ونوابه وموظفيه ليسوا شركاء للصوص والمختلسين ؛ بعد أن دل التحقيق فى كل فضيحة من هذه الفضائح المالية الكبرى أن هنالك وزراء ونوابا وموظفين يشتركون مع اللصوص والمختلسين ، ويمرحون معهم فى تبديد اموال الأرامل وصغار المودعين والمستثمرين ؛ ويعاونونهم فى اجتناب سطوة القانون والعدالة . والواقع أن هذه الفضائح المالية الشاملة لم تبق فى فرنسا حوادث فردية ؛ بل غدت ظاهرة قوية فى سير الحياة العامة . واذا تتبعنا تاريخ الجمهورية الثالثة وجدناه فياضا بتلك الكوارث المالية الفادحة التى يدبرها افراد اذكياء بمعاونة الرجال المسئولين ، وتسفر دائما عن اختلاس مئات الملايين ونكبة مئات الالوف . وقد كانت هذه الحوادث فى بدء الجمهورية الثالثة تعتبر من مخلفات الامبراطورية ؛ لانها ظهرت وتفاقمت فى أواخر عهدها ، وان توطد النظام الجمهورى سوف يقضى عليها ويطهر الحياة العامة من ادرانها . ولكنها استمرت تتعاقب قوية مروعة فى ظل الجمهورية : ودلت كثرتها وتفاقمها فى الاعوام الاخيرة ، حسبما بينا ، على أن النظام الجمهورى او بعبارة أخرى على أن الديموقراطية تحتضنها وتسيغها . ويخشى اليوم أولئك الذين يقدسون النظم الديمقراطية ، أن هذا الفساد الدفين الذى لم توفق الحكومة الديمقراطية الى قمعه ؛ قد يصرف الشعب عن عبادة الجمهورية والديمقراطية ، ويجعله أكثر قبولا لقيام النظم الفاشستية والطغيان المطلق . والديمقراطية تعانى اليوم ازمة شديدة ؛ بعد أن سحقت فى ايطاليا والمانيا : وهى تهتز اليوم فى فرنسا ويخشى ان تنهار دعائمها اذا لم تتداركها الايدى القوية الماهرة . بيد أننا نستطيع أن نقول ان تطور الحوادث الأخيرة فى فرنسا كان ايضا ظفرا حقيقيا للديموقراطية فقد استطاع الشعب بقوة رأيه وارادته أن يسقط فى اسابيع قلائل وزارتين لم يثق بهما ولم يرتض حكمهما : وان يقدم الدليل القوى على انه مازال فى ظل الديمقراطية سيد نظمه ومصايره ؟

محمد عبد الله عنان

رجـــاء

الشيخ عبد الرحمن احمد مدير مكتبة الهداية بالخرطوم ووكيل مجلة الرسالة بالسودان يرجو من كل من حضرات الدكاترة والأساتذة طه حسين ومحمد حسين هيكل بك وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ومحمد عبد الله عنان وابراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد أن يرسل اليه ١٠ نسخ من الكتاب الذى يؤلفه بعد الآن بمجرد ظهوره فى طرد محول عليه بالقيمة .

حول الغموض والوضوح أيضا

للاستاذ عباس فضلي خماس

« هل يحسن بالشعر أن يكون واضحا حتى لا خلاف فيه أم أن بعض الغموض فيه مغتفر بل مطلوب » — ط. ح —

يذكر قراء الرسالة ان الدكتور طه حسين كان قد عقد فصلا ممتعا حول غموض الشعر ووضوحه ، وكان خلال بحثه يرمى الى غاية ، وهى ان الشعر الغامض قد ينطوى على ابداع فنى . ويذكرون ايضا اننى علقت على الموضوع بكلمة ذهبت فيها الى ان الجمال والغموض لايجتمعان فى صعيد واحد ؛ وانتهيت الى ان كل بديع فى هذا الكون من منظر الى صوت الى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور او تصور ، وان الوضوح هو جوهر الجمال .

وكان لى من تعليقى على مقال الدكتور غرض جوهرى لم يخف على القارىء الاديب كما كان لى من ورائه امل فى ان ينشط الادباء للكتابة حول الموضوع بالنظر لما أعتقده فيه من خطورة . وقد تحقق شىء من هذا الأمل بتعليق الاديب الفاضل شوقى ضيف على مقالى حول الغموض والوضوح بما يعرفه القراء الذين تتبعوا هذا البحث .

يتساءل الدكتور طه حسين « هل يحسن بالشعر ان يكون واضحا حتى لاخلاف فيه »

نعم يحسن بالشعر ان يكون واضحا حتى لاخلاف فيه اذا كان هم الشاعر ان يضمنه صورا جميلة ، وسوانح رائعة ؛ لأن القارىء لايستطيع ان يتبين الصورة الجميلة اذا كانت مغمورة فى حجب الغموض الكثيفة ولا تتأثر نفسه بروعة السوانح الفكرية ؛ والخوالج النفسية اذا كانت متلفعة من الشعر الغامض بأستار مظلمة .

الشعر الفاظ وتعابير ، يستعين بها الشاعر على وصف مشاهد الكون وتصوير الحادثات ؛ والانفعالات والانطباعات النفسية المتكونة من تأثير المحيط الخارجى فى نفسه . فهو اذن وسيلة وليس غاية . والشعر بالفاظه وتعابيره واصطلاحاته واوزانه وقوافيه للشاعر كالقيثارة او الكمان او البيان للموسيقى . يجلس الموسيقى على شاطىء بحر فى ليل عاصف ؛ فتتأثر نفسه بصفير الرياح وهزيم الرعد وتلاطم الامواج ، فيحاول ان يصور تأثير نفسه بانغام يتخيلها اولا ، ثم يؤلف بين متصاعداتها ومتنازلاتها ، ويوفق بين تموجاتها مستعينا بآلاته الموسيقية حتى يهتدى الى تاليف قطعة موسيقية تتضمن من الانغام ، مالو سمعها الانسان لشعر بنفس التأثير الذى تأثر به الموسيقى ولخيل اليه انه فى مجلس ذلك الموسيقى من شاطىء البحر فى تلك الليلة .

ويجلس الشاعر مجلس هذا الموسيقى ؛ ويتأثر بنفس ماتأثر به زميله ، فيحاول ان يصف تأثره ويصور انفعالات نفسه بتخير الألفاظ والتعابير التى تحمل تلك التأثيرات الى نفوس السامعين ليجسم لهم الخيال المتولد من تأثير هذه الالفاظ والتعابير ، صفير الريح وهزيم الرعد ، كما يجسم لهم شعور الاستيحاش من الظلام الذى يشمل الطبيعة فى ذلك الموقف

هذا اذا كان الأول يملك من الآلات الموسيقية ومن القابليات الفنية الخاصة بالموسيقى ماتمكنه من بلوغ غاية نفسه .

واذا كان الثانى ذا نفس شاعرة حساسة دقيقا فى تصوره ؛ متقنا فى تصويره ، مالكا زمام الالفاظ والتعابير يحسن استعمالها فى مواطنها ، حاذقا فى أسلوبه ، عالما بنفسيات الناس وماتتأثر به والى غير ذلك من الصفات التى يجب ان تتوفر فى الشاعر

فاذا لم يتصف الموسيقى بما مر ذكره ، أسمعنا ولاشك قطعة مزعجة فى نغماتها : لاتناسب ولا وئام بين تموجاتها ، فلا تولد فى النفس التأثير الذى قصد الموسيقى اليه . وكذلك الشاعر اذا لم تتوفر فيه الصفات التى ذكرنا بعضها انشدنا كلاما غامضا لانكاد نتبين منه قصده ؛ واذا لم يتبين الانسان قصد الشاعر بما نظم فأين ياترى يكون موضع الجمال ومحل الابداع ؛ وموطن الروعة من شعره ؟

لكى يفلح الشاعر فى وصف الجمال او القبح وتصوير اللذة او الالم وغيرها من الحادثات النفسية يجب ان يكون صافى الذهن والنفس ، واضحا فى تعابيره واصطلاحاته . استعرض مناظر الكون جمعاء ، تحت نور الشفق القانى الأدكن ، وتحت أشعة الهاجرة المتوهجة ؛ أو تحت نور الأصيل الذهبى الفاتح ، وتحر الجمال وابحث عن الروعة فى هذه المناظر ؛ تجد نفسك مهتديا اليهما دون أى عناء ، وتراك تنجذب الى مواطنهما كما تنجذب الفراشة الى الورود والازاهير الزاهية بالوانها الفياحة باريجها .

فالجميل يكهرب حواسك ، والبديع يمغطس مشاعرك ، فيجذبك اليه فتنجذب . وما ذلك الا للتناسب الظاهر بين اجزائه وللنظام المسيطر على تراكيب تلك الاجزاء والاشكال ، وهذا هو سر الوضوح .

استعرض دواوين الشعر ديواناً ديوانا ، واقرأ قصائدها واحدة بعدواحدة ، تجدنفسك تعرض عن قراءة بعضها بينما تقبل على قراءة بعض آخر ، ابحث فى نفسك عن سبب اعراضك وتلمس دواعى إقبالك ، تجد أنك فى الحالة الأولى لا تستطيع أن تهتدى تحت جنح ظلام الغموض الى الجمال واللذة اللتين تنشدهما نفسك كما تجد أن نور الوضوح فى الحالة الثانية ينير نفسك فتهتدى الى الجمال وتلمس اللذة .

أما أن يكون هناك غموضان أو نوعان من الغموض كما يرى الاديب الفاضل شوقى ضيف ، فهذا ما لا أتفق معه عليه ولا إخال أحداً من الأدباء يوافقه فى مذهبه .

فالكلام إما أن يكون واضحاً وإما غامضاً ، وكل ما نرى أو نسمع أو نلمس ، وكل ما تتأثر به أنفسنا بطريق الحواس : إما أن يكون واضحاً بتأثيره فى النفس ، وإما أن يكون غامضا ، ففى الحالة الأولى تتلذذ به لأن نفسنا تستطيع أن تلمس جماله ، وتعانق ابداعه ، وتحتضن روعته ، وفى الحالة الثانية تشمئز منه وتنفر ؛ فنفسنا لا تتأثر به ، لأنها لا تلمس منه إلا شيئاً واحداً ، وهو الألم الذى تعانيه من معالجة حل رموزه وطلاسمه . فاذا كانت ثمة نتيجة من قراءة الشعر الغامض ، فهى ليست حينئذ لذة من تلمس أثر جمال أو روعة ، وإنما هى شعور بألم الخيبة ؛ ولذة الراحة بعد العناء .

ومثل الذى يعالج استنباط المعنى أو الغرض من الشعر الغامض ، كمثل من يتوهم أن فى بقعة من الأرض ركازا ، فيظل ينبش أرض تلك البقعة الى أن يعييه الاجهاد ، ولما لم يجد ما يتوهم وجوده يطرح بمعوله جانبا وهو يلهث كما يطرح بنفسه على الأرض وهو غير مفلح إلا بشيئين : ألم ، ولذة . أما الأول فناشىء من شعور الخيبة فى العثور على كنزه الموهوم . وأما الثانى فشعوره الناشىء من لذة الراحة بعد التعب والعناء .

أما الأديب الفاضل شوقى ضيف فقد أوجد غموضين «جلل» الغموض الأول « من حنادس الليل بحجب وأستار » فجعله بذلك مشتملا على ظلام موحش وحلوكة دامسة . أما الثانى فقال عنه إنه غموض جميل « لا تنفر منه النفس ولا تستوحش ، وإنما تقبل عليه وتهش له وتجد فيه لذة ومتاعا كبيرا » ثم راح يشبه غموضه الجميل بالظلال التى لا تحجب النور » ، وارتأى أنه لا يحول بين المرء وبين التأثر الجميل بالقطعة الشعرية ، وأنه مثار للاعجاب ومبعث للسرور ، وما إلى ذلك .

والعجيب كل العجب أن الأديب الفاضل لم يبتعد كثيراً عن غموضه الجميل الذى شبهه بالسدول الرقيقة التى يرخيها الضباب على الطبيعة ، حتى أخذ يسرد لنا أسبابه ويشرح علته ، فاذا به يعود الى الضرب على نفس الوتر الذى ضربنا عليه ، فقال : إن كثيراً من الغموض يرجع أسبابه الى فقر اللغة وقصورها فى الافصاح عن عواطف الشعراء وميولهم ؛ ثم أردف هذه الأسباب بأخرى وهى تعقد الحياة النفسية وإبهامها وغموضها ، ثم انتهى الى أن هذا الغموض سيظل مسيطراً على الشعر حتى تتضح الحياة النفسية .

أما قصور اللغة فى الافصاح عن بعض الحوادث النفسية الدقيقة فأمر لا ننكره ولا ينكره أحد من الناس ، ولكن ذلك لا يعنى بان الشعر الغامض يجب أن يكون منطويا على جمال رائع ، وفن بديع ، ولا يسوغ لنا أن نعتبر الكلام المرتبك الغامض شعراً كما أنه لا يجوز لنا أن نعتبر الناظم الذى لا يوفق لتصوير خوالج نفسه وعواطف روحه وانفعالاته شاعرا مبدعا

واذا ألقيت نظرة متأمل الى ضروب الشعر الوجدانى والعاطفى تبين لك أن بين هذا الشعر ما قد تمكن من أن يصف لك أعمق العواطف البشرية وأدقها بأبرع اسلوب وأتم بيان ، ومنه ما كان بالفاظه وتعابيره أشبه بالاحاجى والالغاز منه بالكلام المفهوم

وقد يجوز أن تجيش فى نفس الانسان بعض الخواطر البديعة والمشاعر الرائعة ، وقد يجوز أن يحتدم جيشانهما فى أعماق نفسه فيضطرب شعوره بها ويظهر هذا الاضطراب ويفيض من جوانحه الى جوارحه فيصبح على أشبه مايكون بثورة نفسية ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يظهر لغيره ما تكنه نفسه لأنه ليس بشاعر ليتمكن من التوفيق بين الكلمات والتأليف بين التعابير والمصطلحات اللفظية التى تحمل الى نفوس الناس وافهامهم ماخالج نفسه وما أثار شعوره وإحساسه ، أو لأنه ليس برسام ليستطيع أن ينقل بريشته الوان تلك الصور والأشكال التى تأثرت بها نفسه ، أو لأنه ليس بالفنان الذى يستطيع أن يستخدم وسائل فنه لتصوير ما جاشت به نفسه ووصف ما اضطرب له حسه .

فان شعوره ولاشك يبقى مطمورا فى باطنه ، ولا يمكن البتة ان يتأثر احد سواه بما تأثر به هو ، ومثل الشاعر الغامض الذى ينظم

قصيدة فيقرأها الناس ولايفهمون ما ارادبها وماقصد ، فيضطرون الى ان يسألوا منه عن مراده وقصده — كمثل كل انسان اعتيادى بما يشعر به تجاه مظاهر الكون وحوادثه .

والسبب الثانى الذى اورده الاديب الفاضل شوقى ضيف على غموض الشعر هو تعقد الحياة النفسية وابهامها ، ولعله قاصد بهذا التعقد والابهام عجز الانسان عن تبين ماهية بعض من ميول نفسه ونزعاتها ورغباتها وانفعالاتها و . . . الخ

نعم ان الحياة النفسية معقدة بالرغم من مجهودات البشر العلمية فى تحليلها الى ابسط ما يمكن ، وستظل معقدة بل سيزيد تعقدها وابهامها كلما تقدمت جهود الانسان العقلية فى البحث عن كنه النفس واسرار حوادثها .

اما ان يظل الشعر يلازمه الغموض ما دامت الحياة النفسية غامضة فهذا حكم غير صائب ، ولعل الاديب الفاضل قد تورط اضطرارا فى هــذا الحكم وذلك لأنه ضيق على نفسه بيده مجال البحث فناط بالشعر وحده دون سواه من الفنون الجميلة اماطة اللثام عن اسرار هذه الحياة النفسية .

لا يا أخى شوقى ! ما كان الشعر فى جميع أدوار حياته ، ولن يكون وحده الكفيل الضامن للنهوض بهــذا العبء الثقيل ، فقد وجدناه فى سالف العصور ونجــده الآن يمد يده الى اخوته ، الفنون الجميلة مثل الرسم والنحت والموسيقى حتى الرقص يستعين بها على بلوغ هذه الغاية .

فهناك بعض الحوادث النفسية لا يستطيع الشعر أن يصفها بما لديه من وسائل ، وتستطيع ريشة الرسام أن تبرزها واضحــة ، فعدم استطاعة الشعر فى مثل هذا الموقف يجب ألا نعتبره عجزاً منه وتقصيراً بل هو فى الحقيقة تكليفه بالخروج عن نطاق اختصاصه وقابليته كما أن هناك بعض الخوالج النفسية يعجز عن ابلاغها إلى النفوس كل من الشاعر والرسام والمثال والموسيقى ، ولكن راقصة رشيقة فنانة تتمكن بحركات خاصة أن تعبر عنها وتجسم تأثيرها فى النفوس .

فطالبة الشعر وحده بكشف أسرار الحوادث النفسية ووصفها وتصويرها على اختلاف أنواعها وضروب تأثيراتها هو السبب الذى حدا ببعض المفكرين أن يرموه بعلة الغموض ، هذه العلة التى راحوا بعد اختراعها يتحرون بين طياتها الجمال الموهوم والابداع المزعوم .

بغداد عباس فضلى خماس

<u>فى حكمة التاريخ</u>

الوزير مؤيد الدين بن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته؟

— ١ —

إن موضوع الخيانة العظمى التى تتهم جمهرة المؤرخين هذا الوزير بها موضوع دقيق ، اذ ليس لدى من يعرض لهذا الحادث التاريخى المهم الادلة الكافية التى تخرجه بنتيجة حاســمة لا جدل فيها ولا مغالطــة ، وكيف يتسنى لكاتب ان يصل لحقيقة تحيط بها الشكوك وتكتنفها الظنون ؟ لأن مايظهره بعض من كتبوا او قل تعرضوا لهذا الأمر الخطير من ميل مع هوى النفس وخضوع للعواطف يزيد فى التحير والتشكك . زد على هذا وقوع هذا الحادث فى فترة فوضى واضطراب استولى الرعب فيها على مشاعر الناس، وكيف لا وهى فترة تقتيل وتشريد وتحريق وتدمير . وفى احوال كهذه يجب الشك ، ويلزم الحذر والتنبه لا كثر ما يروى عما يقع عادة فى خلال هذه الاحوال المضطربة ، لأن الفزع والذعر يخرجان المرء عن الطبيعة الهادئة المتروية التى تتطلبها رواية الحوادث ولا سيما الهامة منها . فالاضطراب والتشويش صنوان متعانقان فضلا عن رواج سوق الشائعات ، ولا سيما الباطلة منها فى اوقات الانقلابات والاحداث السياسية المهمة ، وسأضع الآن بين أيديكم ما تقوله المصادر الأوليــة عن هذا الحادث ، مبتــدئا بالمصادر حسب اوليتها ، وبعد ان افرغ من ذلك سأحاول جهدى المقابلة بين المصادر ، ثم نقد مواطن الضعف فى كل مصدر . وأبدأ بمـا يقوله ابن الطقطقى فى صدد الكلام عن مخامرة الوزير (ونسبه الناس انه خامر . وليس ذلك بصحيح . ومن أقوى الادلة على عدم مخامرته سلامته فى هذه الدولة، فان السلطان هلاكو لمـا فتح بغــداد وقتل الخليفة سلم البلد الى الوزير وأحسن اليه وحكمه ، فلو كان قد خامر على الخليفة لمـا وقع الوثوق اليه) (١) وبعد أن ينتهى من هذا البرهان يذكر لنا روايته عن تصلب الوزير واصراره على عدم الخروج الى هلاكو . ويروى المؤرخ هــذه الرواية عن ابن أخت الوزير ، ومآلها أن الخليفة طلب وزيره وقال

(١) الفخري طبعة مصر ص ٣٠٢

له (قد أنفذ السلطان بطلبك ، وينبغي أن تخرج اليه ، فخرج الوزير من ذلك ، وقال يا مولانا اذا خرجت فمن يدبر البلد ومن يتولى المهام ؟ فقال له الخليفة لابد من أن تخرج . قال فقال السمع والطاعة ، ثم مضى الى داره وتهيأ للخروج ثم خرج .. فلما حضر بين يدى السلطان وسمع كلامه وقع بموقع الاستحسان . . . . . . فلما فتحت بغداد سلمت اليه والى على بهادر الشحنة فمكث الوزير شهوراً ثم مرض ومات رحمه الله فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة) (١)

اما ابو الفدا فيقول فى كلامه عن استيلاء التتر على بغداد وسبب مجيئهم (ان وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضيا ، وكان اهل الكرخ ايضا روافض ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جارى عادتهم فامر ابو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر واطمعهم فى ملك بغداد) (٢) وبعد ان يذكر ماوقع بين جند الخليفة وجند السلطان وتغلب السلطان وتقدمه لحصار بغداد (خرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى الى هلاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال إن هلاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسن له الخروج الى هلاكو فخرج اليه المستعصم فى جمع من اكابر اصحابه فانزل فى خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون ، وكان منهم محى الدين بن الجوزى واولاده وكذلك بقى يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم (٣))

ويجىء بعد ابى الفدا ابن الوردى وهو يأخذ عن ابى الفدا احيانا بالحرف ، ولولا انه ذكر اشياء لم يذكرها ابو الفدا لاغفلت ذكره ، وهو بعد ان يذكر ماذكره ابو الفدا عن فتنة بغداد وما ارتكب من الامور الشنيعة ، وان ابن العلقمى ارسل الى هلاكو يستقدمه يورد نص الرسالة التى ينفرد بذكرها فيقول (وكاتب التتر واطمعهم فى بغداد وطمع الخبيث الغوى فى اقامة خليفة علوى) (قلت) وكتب ابن العلقمى الى وزير اربل يطلعه على ذلك فى رسالة (منها) أنه قد نهب الكرخ المكرم وقديس البساط النبوى المعظم وقد نهبت العترة العلوية واستؤسرت العصابة الهاشمية وقد حسن التمثيل بقول شخص من غزيه

أمور تضحك السفهاء منها ... ويبكى من عواقبها اللبيب

قد عزموا على نهب الحلة والنيل ، بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبر جميل .

أرى تحت الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

ومنها :

وزير رضى من حكمه وانتقامه ... بطى رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء وهى حمامة ... وليس لها نهى يطاع ولا أمر

« فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون »

ووديعة من سر آل محمد ... أودعتها إن كنت من أمنائها

فاذا رأيت الكوكبين تقارنا ... فى الجدى عند صباحها ومسائها

فهناك يؤخذ ثار آل محمد ... وطلابها بالترك من اعدائها

وكن لما أقول بالمرصاد ، وتأول أول النجم واحرص) (١) ثم يقول فى شأن الرسول وكيف أرسل بالرسالة الى هلاكو (فارسل ابن العلقمى الى التتر أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد فى جحفل عظيم (قلت) أراد ابن العلقمى نصرة الشيعة فنصر عليهم ، وحاول الدفع عنهم فدفع اليهم ، وسعى ولكن فى فسادهم ، وعاضد ولكن على سبى حريمهم وأولادهم ، وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ، ونكبت الامام والأمة ، وسفكت دماء الشيعة والسنة ، وخلدت عليه العار واللعنة) (٢) ثم يقول عن عاقبة الوزير : وفيها أى فى سنة ٦٥٦ هـ (توفى ... والوزير المتبر مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمى الرافضى ، قرر مع هلاكو أموراً فانعكست عليه وعض يده ندما وصار يركب اكديشا فنادته عجوز ياابن العلقمى هكذا كنت تركب فى أيام المستعصم ؟ ووبخه هلاكو آخراً فمات غما وغبنا ، لارحمه الله ومات ابنه بعده) (٣) أما صاحب فوات الوفيات فيذكر ان الوزير ظل مخلصا لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار ماوقع من اختلاف ، فعضدت الحاشية الدوادار فضعف أمر الوزير فرفعته الضغينة والحقد ان يسعى فى ادالة

---

(١) الفخرى ص ٣٠٢ — ٣٠٣

(٢) أبو الفدا ج ٣ ص ١٩٣

(٣) أبو الفدا ص ١٩٤

(١) تاريخ ابن الوردى طبعة مصرج ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦

(٢) ابن الوردى ص ١٩٦

(٣) ابن الوردى ص ٢٠١

الدولة فأخذ (يكاتب التتر الى ان جرأ هلاكو على أخذ بغداد وقرر مع هلاكو أموراً انعكست عليه وندم حيث لاينفعه الندم ،وكان كثيرا مايقول - وجرى القضاء بعكس ماأمله ، لأنه عومل بانواع الهوان من اراذل التتر والمرتدة)(١) ثم يستمر ابن شاكر في حديثه فيروى لنا كيف ابلغ الوزير رسالته الى التتر ،فقد ابتدع خطة جهنمية قد لاتخطر لانسان فيقول المؤرخ (وحكى انه لما كان يكاتب التتر تحيل الى ان أخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغا ، وكتب ماأراد عليه بالابر ونفض عليه الكحل وتركه عنده الى ان طلع شعره وغطى ما كتب فجهزه وقال اذا وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرأون مافيه .وكان في آخر الكلام «قطعوا الورقة» فضربت عنقه وهذا غاية في المكر والخزى) (٢) أما عن نهاية الوزير فيروى انه مات بعيد استيلاء التتر على بغداد بتأثير الغم والغيظ على ماأصابه من التتر في سبيل انتقامه من الدوادار ومشايعيه (٣) ويقول ابن خلدون في كلامه عن هلاكو (وقصد قلعة ألموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه في طريقه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يستحثه للسير الى بغـداد ويسهل عليه امرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ ،وتعصب عليهم أهل السنة بان الخليفة والدوادار يظاهرونهم ، وأوقعوا باهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بان يستحث التتر لملك بغداد ، وأسقط عامة الجند يموه بانه يصانع التتر بعطائهم ، وسار هلاكو والتتر الى بغداد) (٤) وبعد أن يذكر فظائع التتر ببغداد وما قتلوا من أنفس أحصى عددها فبلغ المليون والثلاثمائة ألف يقول (... واستبقى ابن العلقمي على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام في الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقى على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو) (٥)

ويقول دحلان في كلامه عن مجيء التتر (وكان من أعظم الاسباب أن ابن العلقمي وزير المستعصم كان رافضيا وكان يريد نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين فكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد ... اما ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد وذاق من التتر غاية الذل والهوان ، فان هلاكو استدعاه بين يديه وعنفه على سوء مافعله مع أستاذه ، ثم قتله شر قتلة ، وقيل إنه مات حتف أنفه غما وكمدا) (١)

مناقشة المصادر في العدد القادم

فرحان شبيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٢ (٢) فوات الوفيات ص ١٥٣
(٣) فوات الوفيات ص ١٥٢ (٤) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٢ (٥) ابن خلدون ص ٥٤٣

(١) الدول الاسلامية في اول الجداول المرضية ص ٢٥

خـــواطر

للاستاذ أديب عباسي

١ - الفضيلة سياج من شوك ليس له باب ، يجد الداخل اليه والخارج منه صعوبة على السواء .

٢ - كثيرون يخلقون عندما يموتون .

٣ - مساوىء المرء تدفن معه .

٤ - بعض الناس كالموائع يتشكلون دائما بشكل الاناء الذى يوضعون فيه .

٥ - كلما دنت النفوس من الأرض هان قطافها - شأنها شأن الثمر .

٦ - أفراح الحياة واتراحها ممتزج بعضها ببعض . لهذا كان من المستحيل أن ينال امرؤ حظا من الحياة خالصاً من الاتراح ، أو خالياً من الأفراح .

٧ - أكثر الذين يظنون انهم يحبون غيرهم لايحبون في الحقيقة غير نفوسهم .

٨ - يحب الرجل الانكسار في المرأة لأنه تعود اذلالها .

٩ - من لاتحفزه همته الى الاهتمام بنفسه لايستطيع احد ان أن يحمله على ذلك .

١٠ - من الناس من يخلقون اذنابا : ومن العبث المسرف أن تجعلهم رؤساء .

١١ - ليس آلم للنفس من رؤية الرذيلة في ثياب الفضيلة والذئب في ثياب الحمل

١٢ - المتكبر كالراية الجرداء .

١٣ - يحب الشهرة جميع الناس ، ولكن العاجزين يتظاهرون بالرغبة عنها .

١٤ - شر الناس واشدهم خطرا هم اولئك الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، لأن من بدت للناس سريرته هان عليهم اتقاؤه مهما كان شره .

١٥ - ينعم الجاهل بجهله كما ينعم الحكيم بحكمته .

١٦ - ضعيف الأرادة كالمريض المدنف عرضة لتغيرات البيئة .

١٧ - كثير الكلام كالصبي لا يستطيع ان يعطيك فكرة محبوكة الاطراف

١٨ - تحب المرأة فى الرجل الصفات التى هى خلو منها وكذلك الرجل . فكأنهما فهما قصد الطبيعة فامتزجا على هذا النحو ليخرجا المخلوق الكامل .

١٩ - الجهل صحراء محرقة لايعيش فيه الا من تعوده .

٢٠ - الضمير الحى كالابرة لا تستطيع ان تمعن فى الضغط عليه .

٢١ - المصائب الكبرى تبتلع الصغرى .

٢٢ - كلما كثرت اغلاط المرء قل اهتمامه بها .

٢٣ - من حرص على اخفاء عيوبه فقد قلل منها .

٢٤ - الفن هو فن على قدر ما يستولى علينا ويستغرق حواسنا ومشاعرنا .

٢٥ - رحب الصدر كالبحر مهما جاش وأزبد يبقى فى موضعه .

٢٦ - المتكبر كالرجل فوق الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيرا

٢٧ - ما أغرب ما تكون حياة المرء لو عمل بكل ما يفكر به .

٢٨ - اذا فقد الذئب أنيابه صار حملا

٢٩ - النبع العميق لا تعكره الحصاة الصغيرة

٣٠ - الأمل يزيد القوى قوة والضعيف ضعفاً

٣١ - من لا يقتنع بالحق لا يستطع أن يقنع به أحداً

٣٢ - الوضيع كالدخان لابد عائد الى مصدره الوضيع مهما ارتفع .

٣٣ - بعض الناس كديك الهواء يميلون دائما حيث تميل الريح

٣٤ - من تكلف الصدق فقد كذب

٣٥ - نزعة الدفاع عن النفس يذكيها ويغذيها فينا الشعور بالنقص والحرمان من جهة ، وما فطرنا عليه من حب للكمال وكره للنقص من جهة أخرى . ومن هنا كانت هذه النزعة بين الناس فى هذا الحد من الشيوع

٣٦ - من الناس من اذا أعياه الارتفاع الى مستوى الإغيار حاول النزول بهم الى مستواه

٣٧ - ان العبقرى كالمصباح القائم على عمود عال يرى ويلاحظ من بعيد ، ولكنه فى الوقت ذاته يبدى للشاهدين كل مايحيط به ويرتكز عليه .

٣٨ - المرأة كالأطفال تأسرها الروايات المغرقة فى الخيال . وهذا ليس أمراً عارضاً : إنما هو تعبير صامت عن شعورها بالضعف ومقياس لمقدار ما تشتهيه من قوة ونفوذ ، فتعوض عن ذلك بطريق الخيال .

٣٩ - ان الميل الذى يظهره البعض الى الزهد والتقشف قد لا يكون له من أساس إلا طلب المتعة من جهة ، والعجز عن نيلها من جهة أخرى . فينطبق عليهم مثل الثعلب والعنب .

٤٠ - ان الخطيب الذى يهبط كلامه الى قرارة النفوس هو الخطيب الذى يقول : « نحن » ولا « أنتم »

٤١ - العبقرى جبل شاهق بين سلاسل من التلال المطمئنة ، فيشعر أوساط الناس — الذين يقيسون اقدارهم الى قدره — بأنوارهم تكسف وأقدارهم تتضاءل . ومن هنا ترانا الى تضخيم سيئات العبقرى أميل ، وبتشويه سمعته أعلق ، كأننا ننتقم منه لعزتنا الجريحة .

٤٢ - العبقرى لا يبالى ما اصطلح عليه الناس من عادات وما تواضعوا عليه من أخلاق ، لأنه أعظم من أن تحده مثل هذه الحدود ، أو تقيده مثل هذه القيود .

٤٣ - لا يوصف العبقرى بالاعتدال (والاعتدال دائما النزول على حكم الأكثرية) . ومن هنا مايجده العبقرى من تأييد شديد وعداء شديد . فهو فى آرائه ونزعاته وأخلاقه ينحاز غالبا الى أحد طرق المبالغة . وهو لذلك يوافق فئة أشد الموافقة ويخالف فئة أشد الخلاف

٤٤ - لا ترسل الطبيعة العبقرى بوقا يردد صدى اصوات الجمهور ، انما ترسله نوراً وهداية يؤتم به ويهتدى بهديه .

شرق الاردن أديب عباسى

يوم سقراط الأخير فى منزله

للآنسة اسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

تهمنا ناحية خاصة من تعاليم الفيلسوف سقراط ، التى سجلها أفلاطون فى « الجمهورية » ، وهى رأيه فى تعليم النساء ؛ فقد كان يقول بوجوب تعليم الممتازات منهن تعليما لا يختلف عن تعليم الرجال الممتازين ، لاعدادهن لتولى منصب الحكام الفلاسفة فى المدينة النموذجية ، إذ لا يرى اختلافا جوهريا بين استعداد المرأة واستعداد الرجل . يرى سقراط هذا الرأى فى وقت انحطت فيه مكانة المرأة فى أثينا وأصبحت لا تمتاز من الأرقاء إلا قليلا ؛ وبالرغم من أنه كان يعيش مع زوجة يضرب بها المثل فى شراسة الطباع ورعونة الخلق . وهذا لا شك برهان قوى على استقلال رأى الفيلسوف وسموه على الآراء السائدة ، والمؤثرات الخارجية ،

واعترافا بفضل سقراط على المرأة سأبين فيما يلى ما عاناه من عنت زوجه « زانتيب » فى يومه الأخير بداره قبل القبض عليه ، مستعينة بالرواية التى وضعها Clifford Banks عن حياة الفيلسوف .

* * *

فى صباح يوم راق جوه ، وسطعت شمسه ، آثر سقراط البقاء فى منزله على غير العادة ، فلم يخرج للحوار والمجادلة فى أسواق أثينا ، وإنما جلس على مقعد خشبى عتيق فى فناء داره التى كان يستعملها غرفة استقبال — وأخذ يخصف حذاءه : ولعل ذلك مامنعه عن الخروج ذلك اليوم ؛ وتلك عملية كانت تجدد ولا شك كل بضعة أسابيع ، لأن الفيلسوف كان لا يستعمل شيئا أكثر من نعليه سوى لسانه !

وبينما هو على تلك الحال ، ولحيته الطويلة البيضاء المرسلة تكاد تخفى الحذاء ، وتعوق سير العمل ، اذا بزوجته زانتيب تنقض عليه انقضاض الصاعقة وتفاجئه قائلة :

ـ انت هنا يا سقراط ؟

ـ نعم يازانتيب ، ولكن لا أفهم المقصود من تلك العبارة . . ؟

ـ وما الذى تفهم من شئون الحياة ؟ . سأفرغ من اعداد طعامك بعد دقائق . .

ـ حسن جدا .

ـ الطعام المعتاد طبعا .

ـ جميل للغاية .

ـ أحقا ماتقول ؟ ! لوكنت تعمل عملا شريفا وتحصل منه على بعض النقود مثل سائر الرجال المجدين لما أصبحنا فى حاجة لأكل العيش والعدس يوما بعد يوم .

ـ إن من لا يسأل غير الكفاف يازانتيب يكون بلاشك أعظم الناس شبها بالآلهة !

ـ أبق هذا الهذيان حتى تكون مع صحبك الأعزاء . أما انا فلا تهذ معى . .

ـ لقد خلق كلانا محبا للكلام !

ـ لقد خلقت محبا لذاتك ، وتلك هى مصيبتك .

— ربما . . .

— أيهمك أمرى أو أمر الأطفال ؟ لو كنت تفكر فينا حقا لما جننت لدرجة أنك أصبحت تناصب الحكومة العداء ،

— ما الذى سيحل بى ؟

— أريد أن أعلم ـ عندما يلقونك فى أعماق السجون ؟

— عندئذ تصبحين أسعد حالا .

— وكيف ذلك ؟ هل لى أن أسأل ؟

— إن أصدقائى لا يفتأون يقدمون الى نقودا . . .

(زانتيب مقاطعة) وأنت دائما ترفضها .

— بالتأكيد ! أما أنت فسوف لا ترفضينها !

ـ وهل تريد ان أموت جوعا ؟ أماعن اصدقائك فانى أبغضهم جميعا ماعدا « السبياديس » الانيق . انى لاأستغرب ان يقتل الشبان الموسرون أوقاتهم فى المجادلة فى أمور تافهة ، ولكن الذى استغربه هو عدم ترك الرجل الفقير لتلك الأمور لمن هم فوقه مرتبة.

ـ لقد اشتغلت بجد فى شبابى

ـ وانفقت كل ماجمعت على الناس ! آه لقد نفد معين الصبر معك !

ـ لقد لاحظت ذلك

ـ آه . كم أود أن تغتاظ و تفقد حلمك معى ! انى كمن يحاول إيقاد خشب مبتل

ـ لاتحاولى ذلك

ـ سحقا لك ! أعازم على الدخول انت ؟

ـ سريعا .

سوف لاتجد من الطعام غير الماء البارد

ـ هو كل ما أريد

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب :ـ من الطارق ؟ إذا بقيت هنا للكلام فقد لاتجد طعاما مطلقا . (تخرج)

سقراط : يفتح الباب ويدخل « مليتاس » الشاعر

سقراط : انك لتفاجئنى !

مليتاس : أتسمح لى بالبقاء دقائق معدودة ؟

سقراط : بالطبع . ولكنك منذ ثلاثة أيام قلت إنك سوف لاتكلمنى أبدا

مليتاس : لقد كان ذلك هياجا سخيفا . لقد كنت على صواب و كنت أنا على خطأ وقد جئت لأقر بذلك الآن بجانب غرض آخر

سقراط : وماهو الغرض الآخر ؟

مليتاس ـ أن أسأل عما اذا كان فى إحضارى صديقين من أصدقائى للحديث معك عمل خارج عن حدود الحرية المألوفة . انهما يتلهفان لمعرفتك

سقراط ـ بابى لكل وارد مفتوح . من هما ؟

مليتاس ـ أنيتاس الدباغ ، وليكون الخطيب من ذوى المستقبل الباهر فى السياسه . ولقد سنحت لهما الفرصة الآن طبعا .

سقراط ـ الآن ؟ ولم الآن ؟

مليتاس ـ أحقا إنك لم تسمع بعد ؟

سقراط ـ لم أخرج اليوم من منزلى قط .

مليتاس ـ إذن أنا الذى سازف اليك النبأ السار : لقد سقطت الحكومة الاستبدادية وقامت مكانها حكومة ديمقراطية .

سقراط ـ معنى ذلك نفى عدد جديد من الناس على ما أعتقد .

مليتاس ـ معناه أنك أصبحت بعيداً عن الخطر الآن .

سقراط ـ نعم ! ولكنى واثق من إغضاب الحكومة الحاضرة كما أغضبت السالفة .

مليتاس ـ وهل نسيت أن لك عدداً كبيراً من الأصدقاء فى أثينا ؟

سقراط ـ لى أضعاف أضعافهم من الاعداء .

(يسمع طرق على الباب)

مليتاس ـ هاهما ذان قد حضرا

سقراط ـ من أعدائى ؟

مليتاس ـ كلا . كلا . بل قل أصدقاءك الجدد (يدخل أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب)

مليتاس ـ ها قد أتيتما . هذا أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب

سقراط ـ اجلسا على الرحب والسعة .

ليكون ـ ان من دواعى فخارى أن أتعرف اليك الآن

أنيتاس ـ وإنه ليسرنا نجاتك المدهشة .

ليكون ـ قد تتساءل عن سبب زيارتنا لك الآن ؟

سقراط ـ صدقت .

ليكون ـ إننا ديمقراطيان متحمسان

أنيتاس ـ ونعد الديمقراطية النوع الوحيد من الحكومات الذى يرضى أفراد الشعب الذين يحترمون أنفسهم ويعتزون بالكرامة .

ليكون ـ وإنه ليسرنا أن سقراط العظيم يوافقنا فى الرأى

سقراط ـ ان نوع الحكومة لايفضل أى نوع آخر، بل كل شىء يتوقف على الأشخاص الذين يحكمون بالفعل .

مليتاس ـ ولكنك بالطبع تؤيد المبادىء الديمقراطية ؟

سقراط ـ هل لليكون أن يعرفنى ماهى لأنه كما يبدو أكثر احتمالا لغباوتى من غيره ؟

ليكون ـ الديمقراطية هى الحكومة القائمة على رغبة الشعب ، هى المبنية على المساواة المطلقة بين الافراد .

سقراط ـ عظيم جدا . . . ولكن هل لى أن أسأل بعض الاسئلة بحسب طريقتى المعروفة .

زانتيب (من الداخل) سقراط ! سقراط !

سقراط ـ هى زوجتى تعلن اعداد الطعام

ليكون ـ اذن يجب أن نستأذن للخروج

سقراط ـ انى أفضل الحديث على الطعام .

مليتاس ـ اذن سل ماتشاء .

سقراط ـ سأبدأ بسؤال ليكون : اتسلم مبدئيا بمقتضى مالديك من التجارب أن التجارة مثلا ليست من الأمور الهينة وكذلك إدارة الجيش

ليكون ـ بالتأكيد .

سقراط ـ وأن ادارة الحكومة يدخل ضمنها التجارة والجيش والزراعة وأشياء أخرى صعبة الحصر ؟

ليكون ـ بالطبع .

سقراط ـ وأن من الضرورى أن يدير حكومة كهذه كثيرة الفروع مختلفة الاغراض أعقل الأفراد ؟

ليكون ـ بالضرورة .

سقراط : وهؤلاء يختارون بالتصويت العام . أليس كذلك ؟

ليكون : هو ماتقول

سقراط : وانت تقول إنه لابد من اشتراك الافراد فى الحكومة اشتراكا مبنيا على المساواة فى التصويت ماداموا يتساوون فى الدفاع عن الأوطان ؟

ليكون : مازلت محتفظا بنظريتى .

سقراط : ومعنى ذلك أن الفرد الغبى له سلطة تعادل سلطة الرجل الذكى ، والنتيجة تكون اختيار افضل الرجال ؟

ليكون : (بغضب) إننا نعتمد على الاجماع الذى لايضل :

انيتاس : وما الذى ترمى اليه من محاورتك هذه ؟

(تدخل زانتيب)

زانتيب : بمثل هذا الاهمال تعامل الزوجة الصالحة التى تجهد نفسها فى طهى العدس ؟ ألا فاشهدوا أيها الرفاق على عقوق الأزواج ! هيا انهض معى وإلا أرك كيف يكون الانتقام

سقراط : معذرة أيها الرفاق فانا ذاهب معها ! (يخرجان)

مليتاس : ألم اقل لكما إنه عدو للحكومة والشعب ؟ اذهب ياانيتاس وأحضر من يتولى القبض عليه فهو كما تبين لكما خائن للحكومة وكثيرا ماعاث فى الارض وأفسد عقائد الشيوخ والشبان .

(يخرج انيتاس)

(يدخل سقراط)

سقراط ـ أين انيتاس وكيف يخرج غير مسلم ؟

ليكون ـ لقد طلب إلىّ أن أعتذر اليك إذ تذكر موعداً أنساه إياه حديثك العذب الطريف . . الآن وقد استنرت بآرائك فى السياسة فهل لى أن أطلب هدايتك فى الدين ؟

مليتاس ـ حذار ياليكون فسقراط معروف بكفرانه بالآلهة

سقراط ـ تلك أكذوبة لفقها كتاب الكوميديا .

ليكون ـ أنت غير ملحد إذن ؟

سقراط ـ يلزمنا أن ننظف أدمغتنا كل عام كما ننظف دورنا من سقط المتاع

مليتاس ـ وما هو سقط المتاع يا ترى ؟

سقراط ـ آراء ماتت أو آخذة فى التعفن والاضمحلال .

(تدخل زانتيب)

زانتيب ـ لقد برد طعامك ، فما الفائدة من كل ذلك الهذيان ؟ إن العدس لا يؤكل الآن

سقراط ـ لا بأس فلا حاجة لى به

زانتيب ـ أتقول لا حاجة لك به بعد أن تعبت فى إعداده لك ؟ حسنا هاك جرة من الماء البارد هى كل ما ينبغى أن تأكل جزاء وفاقا (تلق الجرة فى وجهه) !

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب ـ تسير نحو الباب وتفتحه قليلا ثم ترده بسرعة صارخة وتكر راجعة

زانتيب ـ الجنود ! الجنود بالباب ياسقراط . . انى أرى الشر فى وجوههم أى زوجى العزيز . . لقد جاءوا فى طلبك ولا شك . ألم أقل لك أن كف عن النقد والجدل . . آه (تبكى) (يشتد الطرق) ولكنك لم تهنى ابداً ولم تضربنى كما يفعل الرجال غلاظ القلوب مغفرة يازوجى العزيز . واحزناه . . انك لم تذق طعاما منذ ظهر

٢ — ابن قلاقس

٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ٤ —

لشاعرنا مذهب فى الحياة ، اختاره لنفسه ، وارتضاه طريقة يسير عليها ، ذلك المذهب هو اختلاس الفرصة ، وانتهاز غفلة الزمان ، فهو قد آمن بأن الدهر لا يحسن مرة الا أساء أخرى ، ولا يمد يداً الا انتزع بشماله ما قدمه بيمينه ، فهو متقلب متلون كالحرباء ، وإذا كانت تلك حالة الدهر ، فمن الخير للمرء أن ينتهز الفرصة التى تسنح له ، فلا يدعها تفلت من يده ، ولينل فيها اللذة التى تهيأت له ، إذ أنه من الخير للمرء ألا يدع نفسه فريسة للدهر يحط عليه بأثقاله ويعضه بنابه ، ثم يأبى المرء إلا أن يساعد الدهر فيزيد السهام سهما ، والجراح جرحا ، وأولى له أن ينتهز غفلة الدهر فاذا نامت عينه ، تمتع مادامت تلك العين غافلة ، واستمع إليه حين يقول :

واعطف على خلس اللذات مغتنما فالدهر فى حربه تلوين حرباء

أما اختلاس اللذات من الناحية الدينية فهو يطمئنك عليها ويخبرك أن هناك الها رؤوفا رحيما لا يضن عليك بالعفو إن أنت اقترفت جرما ثم عدت إليه لابسا ثياب التوبة مرتديا ثياب الاستعطاف ، فلا بأس عليك من ذنب ، ولا ضير عليك من اقتراف معصية ، فاقترف ، واعترف ، فثم كريم يهب الأقتراف للاعتراف ،
ولقد كان من وسائل سروره التمتع بالغناء ، والانصات إلى مغنية جميلة رخيمة الصوت تطربه وتسره ، حتى أصبح له بسبب هذا الولوع اذن غنائية هيأت له أن ينتقد المغنيات اللاتى لا يجدن من الغناء . ولا يحسن الا مد الصوت ولو كان متنافرا ، ولا يجدن أتفاق النغمات ، ولا ندرى إن كان شاعرنا قد اتخذ الخمر وسيلة من وسائل تمتعه بالحياة ولهوه فيها ، أو أن لهجه بها وتغنيه بذكرها ، وتفننه فى وصفها ، كان ناشئا عن تقليد لا عن عاطفة نحوها ، وبعد . فاذا كان موقف ابن قلاقس إزاء الحياة العملية ؟ وما مذهبه الذى اختطه لنفسه ؟ وهل كان موفقا فى اختياره هذا المذهب ؟

— ٥ —

إن كنت تبغى وطنا من العلا فاغترب
فالسمر فى غاباتها معدودة فى القضب
على أن أسعى وما على نجح الطلب

تلك هى عقيدته فى الحياة العملية ، وذلك هو مذهبه الذى اختاره وارتضاه ، فهو لا يرى العلا تنال إلا بالبعد عن الوطن والتغرب عن الآل ، ففى ذلك نيل الأمل وبلوغ المآرب . ولعل ولادته فى ثغر الاسكندرية لها اثر فى ذلك ، على أنه بالرغم من هذا لا يرى التغرب إلا وسيلة من الوسائل للوصول إلى أطماعه ، فأن أخفقت فأن ذلك الاخفاق لا يفت فى عضده ولا يضعضع من قوته ، فعليه أن يسعى ، وما عليه نجح مطالبه ، وشاعرنا لم يكن فى مذهبه ذلك مشرعا فحسب أو قانونيا يلق القانون إلى الناس ، ولا يتبعه بعمل بل كان قوله ذلك معبرا أصدق تعبير عن حياته العملية كلها ، فتاريخه ينبئنا أنه كان كثير الحركات والأسفار ، لم يقتصر على التنقل فى وطنه ، بل غادره إلى بلاد غير بلاده وآل غير آله

رحل إلى صقلية فى شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وصقلية جزيرة قرب ايطاليا كانت تابعة للفاطميين حينا من الزمن طويلا ، إلى أن تغلب عليها روجر النورماندى ، وانتزعها من أيديهم ، وجعلها إمارة مستقلة ، وكان بتلك الجزيرة أيام وصل اليها شاعرنا قائد يسمى أبا القاسم بن حجر ، فاتصل به اتصالا وثيقا ، ومدحه مدحا كثيرا ، وتوثقت بينهما الصلة ، حتى ان شاعرنا ألف له كتابا أسماه الزهر الباسم فى أوصاف أبى القاسم ، ويقال إنه قد أجاد فيه ، ولكن الكتاب لم يصل الينا ، وعبث به يد الزمان ، وظل شاعرنا لدى أبى القاسم حول عامين ، أراد الرجوع بعدهما إلى بلاده ، وكان فى زمن الشتاء ، فردته الرياح إلى صقلية ، فكتب إلى أبى القاسم المذكور :

أمس (تدخل الجنود)

سقراط ـ مهلا ايها الجنود .. انا قادم اليكم ... وداعا يازانتيب .. لا تجزعى فسيرعاك الله فى غيبتى ... واذا ماذكرتنى فاذكرى انى لم أعبأ قط بالحياة ولا بالموت بل بالحقيقة التى سأعذب ولا شك من أجلها ....

زانتيب ـ : ترتمى على مقعد وتنتحب ...

اسماء فهمى

منع الشتاء من الوصو لمع الرسـول الى دياري
فأعاذني وعـلى اختيا ري جاء من غير اختياري

ولم يقتصر شاعرنا فى رحلاته على صقلية ، بل ذهب الى بلاد المغرب ومدح صاحبها عبد المؤمن بقصيدة قوية الأسلوب ، قوية المعانى ، تدلنا على عظمة من قيلت فيه . وانصت اليه يقول :

عظمت قيمتها مـنذ علقت بأمير المؤمنـين الأعظم
كعبة المجد التى من زارها بات فى أمن حمام الحرم
قبـلة الدين التى حج لهـا خلقه : من كافر أو مسلم
قائد الجيش الذى من راعه باسمه قبـل التلاقى يهزم
يا إماما خضـع الدهر له فأطاعته رقاب الأمم ... الخ .

ثم عاد الى وطنه ، ولكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى دفعته النوى إلى بلاد اليمن ، ودخل مدينة عدن ، واتصل بأبى الفرج ياسر بن بلال وزير البلاد اليمنية ، فأحسن الوزير صلته ، وأجزل عطيته ، ثم فارقه عائدا إلى الديار المصرية فانكسر المركب به وغرق جميع ما كان معه بالقرب من دهلك ، فعاد الى ياسر ، ومدحه بقصيدة بدأها بقوله :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا إلى مغناك ، والعود أحمد
وجاذبنا للأهل شوق يقيمنا وشوق لمغنينا عن الأهل يقعد

ثم أنشـده قصيدة أخرى يصف فيها غرقه ، وما أصابه فى البحر غير أن هذا الحادث لم يجعله يسخط على السفر والاغتراب كما قد يظن ، فقد رأيناه بعد أن نجا يكرر مذهبه ويؤكده ، ويقول

سافر إذا ماربت قـدرا سار الهـلال فصار بدرا
والماء يكسب ، ماجرى طيبا ، ويخبث ما استـقرا
وبنقـلة الدرر النفيسـة بدلت بالبـحر نحـرا

مما يدلنا على قوة عزمه ، وتغلغل مبدإ السفر والارتحال فى فؤاده ، ولقد هداه حادث الغرق إلى أنه من الخطا تشبيه ممدوحه بالبحر إذ يقول :

وغـلطت فى تشـبيهه بالبحـر فاللـهم غفرا
أو ليس نلت بذاغـنى جما ، ونلت بذاك فقرا ؟!

ولعل شاعرنا حينما ألقت به يد الأمواج إلى جزيرة دهلك لم يأنس بالمقام فيها ، ولم يجد من حا كمها مالك بن شداد برا ولا رحمة ، لذلك هجاها ، وصورها بصورة جهنم بدليل أن خازنها مالك (ودهلك جزيرة بين بلاد اليمن وبلاد الحبشة) وظلت أيدى النوى تتقاذفه حتى ألقت به فى عيذاب ، وهى بليدة على شاطىء بحر جدة يعدى منها الركب المصرى المتوجه إلى الحجاز عن طريق قوص ، وهناك وافته منيته بعد أن بلغ من العمر خمسا وثلاثين سنه .

بالرغم من كثرة أسفار شاعرنا ، وكثرة تنقله بين الأوطان المختلفة كان حنينه وشوقه الى مصر لايفتران : فنى صقلية يذكر مصر ، وفى غيرها يذكر مصر ، ويذكر آله وقومه ، ويذكر ما كان له فى تلك الديار : من صحب وأصدقاء فيحن إليهم ويقول :

ياإخوتى ، ولنا من ودنا نسب على تباين آباء وأجـداد
متى تنور آفاق المنارة لى بكوكب فى ظلام الليل وقاد
متى تقر ديار الظاعنين بهم والدهر يسعفهم بالماء والزاد

ويقول مخاطبا أبا القاسم بصقلية :

وعليك السلام منى ، فانى عنك غاد أوراءح أوسارى
شاقنى الأهل والديار وذو البعـد معنى بأهـله والديار

وتلك حالة طبيعية يمسها الرجل المفارق لوطنه ، فهو يحن إليه دائما ، ويشتاقه دائما .

(البقية فى العدد القادم) أحمد أحمد بدوى

مِنْ طرائفِ الشِّعرِ

ذكرى الحج

للأستاذ الحاج محمد الهراوى

حَدَا بِى الى أُمِّ القُرَى شوقُ هائِم
مُدَلَّهِ قلبٍ حولَ مكة حائم
وَلِهْتُ بها ما بين نوم ويقظة
وقلبى يقظانُ الهوى غيرُ نائم
فان نمتُ لم تبرح تُخَيَّلُ لى الرُّؤَى
وإنْ أصحُ لم يَبرَحْ تخيُّلُ واهِم
فذلك شأنى . ثم لَجَّ بِىَ الهوَى
الى أن رأيتُ الحجَّ ضربةَ لازم
حططتُ برحلى فوق ناحيةِ الشّرَى
وطرتُ بشَوْقى فوقَ ذاتِ القوادِم
لعلّى ، وفى بردىَّ حُوبة آثم
أُطهِّرُ عن بردىَّ حوبةَ آثم
ويُطمعنى فى الله أنىَ من مِنًى
قريبٌ ، وأنى من سُلالةِ هاشم
أُمسِّحُ بالأركان وجهى مُعَفِّراً
وأهمى عليها من دموعى السواجم
أطوفُ وأسعى بين مَرْوَةَ والصّفا
وآوى الى رُكنٍ من البيت عاصم
وأرجعُ مملوء الجوانح خشيةً
من الله فى يوم من الهَوْل قادم
فَيا هلْ أنى صحّبى بمَسْرَح لهْوِهم
متابى ، وأنى قارعٌ سِنَّ نادِم
فلم أرَ مثلَ الدين أدعى الى الهُدَى
ولا مثلَ حجِّ البيت أهدَى لجارِم
وما أبتغى إلا المَثوبةَ مخلصاً
ودعوةَ ربِّ البيتِ تحتَ المحارِم
أقول : إلهى أنتَ أدرَى بأمّتى
وكم نزَلتْ دهراً على حكم غاشم
تركتُ ورائى أُمةً لم تكن تنى
عن الحقِّ جُهْداً ، أو تهى فى العزائم
فيارِبِّ يا حامى حِمَى البيتِ لا تُبِحْ
حِمى مِصرَ للعادينَ من كلِّ ظالم
ويارِبِّ إنَّ الشرقَ بات بأهله
كبيرَ الأمانى طامحاً للعظائم
يريد حياةَ العزِّ وهو مُسالِمٌ
ويأبى عليه الجَوْرُ عيْشَ المُسالم
فيارِبِّ أيِّدْهُ على الحقِّ ما سَعَى
الى الحقِّ وارفعْ عنه نِيرَ المظالم
بلادى وقومى فوقَ ما جئتُ أبتغى
لنفسى ، وما أرجو لها من مغانم
ويارِبِّ إن كانت لنفسى حاجة
فحاجةُ نفسى منكَ حُسْنُ الخواتم

سبيكة الشعر

إن كنتِ أهديتنى من شعرك الغالى
سبيكةً جددت عهد الهوى الخالى
فقد وهبتك يادنياى مرتضياً
قلباً يفيض بأحلامى وآمالى
قلبى لديك . فهلاَّ رويته من نهرك ؟
كما تروّى عيونى بالدمع غالىَ شعرك
وهل يجود الزمانْ بالقرب بعد النوى ؟
فتلتقى العينانْ ونستعيد الهوى
مازلت أندب والأحشاء ثائرة
عهوده كلما مرّت على بالى

عالم الهوى

للشاعر الوجدانى احمد رامى

يا طيورْ ما الذى هزك للشدْو الجميل
فى سكون الليل أو صفو السَّحَر
يازهورْ مالأغصانك فى الروض تميل
فى ضياء الشمس أو نور القمر
يا غديرْ مالأمواهك فى المرْج تسيل
ضاحكاتٍ بين أفنان الشجر

قالت الطير أما تلقى الربى
يتباهى الزهر فيها بالجمال ؟
وانثنى الزهر مجيبا هل ترى
كيف يجرى الماء مابين الظلال ؟
ومضى الجدول مختالا وقال
قد غذانى النهر بالعذب الزلال

تعشق الطير الزهور والجنى يهوى الغدير
والغدير
يستقى الماء من النهر النمير
كل من فى الكون يَغْنَى من هواه بنصيب
وأنا قلبىَ يَهْنا برضى قلبِ الحبيب

ولا أرى بعد ما هاجرتِ مرغمة
إلا عذاب فؤادى أو ضنى حالى
ولم تعد لى دموعٌ إلا دماء الفؤاد
أبكى بها فى الضلوع عليه بعد البعاد
يا ضيعة العمر إلا فى وكرك الفتان
وبؤسَ للقلب إن لم ينل لديك الأمانى
مناى فى الحب أن نقضى الحياة كما
كنا : أليفين فى حِلٍّ وترحال
أسقيك كأس الهوى والحب مترعة
وأستقى من رضاك المسكر الحالى
محمد فريد عين شوكه

وحشــــة

للاستاذ محمود الخفيف

ليس يمحو الوجدَ من قلبي الحزين كلُّ مافى ...كون من آى الجمال
يتأسى كل قلب بعد حين مالقلبى ...ت مفقود المثال ؟!
شفه طول الحنين وتباريح الخيـــال
واغتدى بعد اليقين بين يأس واحتمال

أظلم الكون وقد كان سناه مشرقافى النفس اشراق الأمل
نبه القلبَ لأكدار الحياه وحشة ...ث فى قلبى الوجل
حار قلبى فى هواه والهوى ...صل الخبل
ويحه ماذا دهـــاه فبكى بـ... الجذل ؟

تبسم الأزهار للصبح الوليد وتغنى الطير ألحان السَّحر
ويلوح النور فى الأفق البعيد فيهز ال... أعطاف الشجر
والندى در نضيد فوق أ...كمام الزَّهر
هل يرى قلبى الشريد حسن ... ك الصور ؟

تشرق الشمس لا أرى أى معنى يبهج النفـ...س من معانى ضحاها
لا ، ولا البدر اذ يسير الهوينى باعث فى النفس أحلام مناها
واذا العصفور غنى ذكرت ...عينى بكاها
واذا الغصن تثنى هيج النـ...ـس شجاها

تدمع العين برغمى أن أرى فى ظلال ...يف مغنانا الوسيم
كان مرعى اللهو فيه ناضرا عاطر الا...نفاس مطلول الأديم
مالعيـــنى لاترى حسن ... ه القديم؟
يتراءى مقفـــرا والأسى ...يه مقيم!

أسأل الدوحة عنها ذاهلا وأطيل الـ...ـير فى جنب الغدير
ثم أمضى بعد حين قافلا تخفق اللو...عة فى قلبى الكسير
أتنـــاجى قائلا بين د...مع وزفير
كيف ولى عاجلا ذلك العـ...ـش الغرير ؟

صرت لأقوى على غشيانه ان فى مرآه الوان الشجن
وكأن الورق فى أفنانه تشتكى مثلى تصاريف الزمن
هل سوى سلوانه لفؤادى من سكن ؟
أو سوى هجرانه لغريب فى الوطن ؟

......

زمن الوصل تقضى مثلما يتقضى فى الكرى حلم بديع
وتولت بهجة العيش كما يسقط الزهر اذا ولى الربيع
ويح نفسى أكلما ذكر الشمل الجميع
بات مضنى هائما ذلك القلب الصديع

......

أترى تذكر « أبدا » عهدنا أم تناسته وقد طال الغياب
نفس الدهر علينا صفونا وكذا الدهر نعيم وعذاب
كم حبسنا دمعنا ماشكا البين الصحاب
وارتقبنا يومنا فى وجوم واكتئاب

......

اقرإى هذا وحسبى سلوة أن ترى عيناك هاتيك الدموع
خانتى عزمى ففاضت عنوة
وأخو الشوق لدى الذكرى جزوع
فاغفرى لى صبوة لم تجىء بعد شروع
ولقلبى وثبة أشفقت منها الضلوع

الى السيدة منيرة توفيق

من الآنسة خيرية أحمد

ناحت مطوقة فأشـ ـجت كل طير فى الخمائل
وبكت لها مقل السحا ب بأدمع تجرى هواطل
شكت الحنين إلى الحليـ ـل من الجوى والوجد مائل
صدق الهوى بفؤادها فبكت وصدق الحب قاتل

...

زين العقائل والفضا ئل فى المنازل والمحافل
أخت الفصاحة والسما حة والرجاحة فى الشمائل
لو كنت فى عصر الأوا ئل كنت مفخرة الأوائل
زفرات أختك قد علت لأساك تغلى كالمراجل
عجبى لزوجك كيف غيـ ـر عهده بعد التواصل
وأدال من حكم الهوى والحب خصم لا ينازل
هل فى البرية للوفيـ ـة والحبيبة من معادل
هل للخلال الباهرا ت وللفضائل من مماثل
ولرب رأى قد رآ ه الزوج حقاً وهو خائل
وتعدد الزوجات فى الـ أسرات مهزلة المهازل
أصل العداوة والشقا ق وباب مشكلة المشاكل
والحق سيف لو تجر د نصله ماض وقاصل
وأخال أنك تحليـ ـن وأن هذا الحلم زائل
سيعود زوجك للوئا م وليس عند الخلف طائل

والها أيضا

من الآنسة ناهد محمد فهمى

إن طال سهدك فاشتكى لله زوجا غير عادل
إنى أرى بين السطو ر دموع قلبك كالجداول
تجرى بألحان الأسى وخريرها يشجى العقائل
لا تيأسى فلربما عاد العقوق الى التواصل
وترفقى فى لومه فالرفق من شيم الأماثل
وتساهلى فيما جنى لا شىء ينفع كالتساهل
وتدرعى بالصبر فى كل الكوارث والنوازل
كم من ضحايا للرجا ل وكم نعانى من رذائل

مذهب « السمبوليسم »

أو

الشعر الرمزى

للاستاذ خليل هنداوى

المدرسة الرومانتيكية والبرناسية . حقيقةالمذهب الرمزي . الشعرالرمزى كالاحلام الشعر الرمزي والموسيقى . الشعر الرمزي والطبيعة

« شغل الرسالة – فى الايام الاخيرة – ما شغلها من (بول فاليري) . وكان من (مقبرته البحرية) مجال فسيح لبحث الوضوح والغموض فى الشعر ، وقد رأيت ان أوضح مذهب أصحاب المدرسة الرمزية بهذه المقالة ، ثم أتلوها بصور شعرية مختارة لهم » .

المدرسة الرومانتيكية والبرناسية

لم يكد يوارى جثمان الشاعر (هينو) فى الثرى حتى قامت مدرسة شعرية جديدة هى مدرسة (السمبوليسم) تنازع المدرسة (البرناسية) التى نازعت بدورها المدرسة (الرومانتيكية)

المدرسة الرومانتيكية جعلت موضوعها الفنى عواطف الشاعر نفسه ، فترى الواحد من شعرائها ينظم وينظم ، وهو يحدثك عن نفسه ، ويقصيك عن نفسه ، ليدنيك من نفسه ، يحسب نفسه العالم الأكبر الذى ينطوى على كل شىء ، فاذا أنّ وانتحب عجب من الناس كيف لم يسمعوا أنينه ولم ينتحبوا ؟ وتراه اذا عرض عليك عواطفه رقق ديباجته ، وبهرج ألوانه ، وذوب نفسه ، لأن قاعدة هذه المدرسة توجب على الشاعر ان يكون متأثراً حتى يستطيع ان يؤثر فى غيره . فجاءت المدرسة البرناسية تنعى على أصحابها ضيق عقولهم وقلوبهم ، وتنتقد هذا المذهب الذى يتغنى على ضرب واحد لا يتغير له لحن ولا وتر ، ولا يسمع سامعه الا رنة ناقوس واحد . فكان جدال عنيف وكان نقد صارم ، فاضاع الشعر الوجدانى كثيراً من قيمته . وذهب زمان كان يؤله الناس فيه هذا النوع من الشعر لانه – كما يعتقد أصحابه – هو شعر الرقة ، وشعر الجمال . وقد لا يمكننا القول بأن أصحابه لم يحسوا الجمال ، وغاية الادب – مذ كان الادب – الحج الى مجالى الجمال . ولكن كثيرين ممن يتمثلون الهدف ويعينون موقع الهدف ، ويسعون بشوق ولهفة ، تسعى بهم اقدامهم ويا للاسف الى غير الهدف . وللجمال طريق يختلف عن طريق هؤلاء القوم الذين اتخذوا طريقهم اليه : طريق الالحان المشوشة التى تخلقها العواطف الثائرة . ومتى كانت مقاييس العواطف ثابتة وموازينها صادقة ؟ وحقيقة هذه الالحان أنها تصور أهواء النفس ، ولا تصور شيئا من مجالى الفن والجمال . فكانت غاية المدرسة البرناسية أن تحول أذهان الناس عما اعتقدوا ، وأن تصف الجمال – بالفن الذى لا يتصل بمشاعر النفس ، ولا يتعلق بأهواء النفس ، ولكن هذه المدرسة لقيت فشلها ، وكان يقدر لها الفشل ، وهى لما تدرج من مهدها لولا ثبات أصحابها ، واحترام الاندية الأدبية لهم . وتحوير هؤلاء لبعض قواعدهم . فالفئة التى سئمت ألحان النفس والوجدان سأما بعثها عليه المغالاة والتصنع ، راعها أن يطلبوا منها أن تقطع كل صلة بينها وبين النفس ، ليتسنى لها أن تدرك الجمال بدورها كما أدركوه هم بدورهم . ولكنهم (أصحاب المدرسة البرناسية) لم يستطيعوا أن يقطعوا هذه الصلة ، لأن الانسان لا يستطيع أن يؤدى لغته الشعرية ، وأن يفهم اللغة الشعرية الا بنفسه . وهل يستطيع أحد أن يفهم ملامح التمثال دون أن يمر بهذه الملامح على نفسه التى تدرك منها ما تدرك . وقد يكون هذا الادراك هو الادراك الصحيح للتمثال وقد لا يكون ، ولكنه لم يكن – فى الحالين – الا تعبير النفس والعاطفة العميقة . ولذلك لم يحفل الناس بهذه المدرسة الا كحفلهم بشىء جديد له منظر جديد وروعة جديدة ولو كان هذا الشىء قبيحا . حتى اذا شبعوا من هذا المنظر الجديد والروعة الجديدة صدفوا بوجوههم عنه ، وعاودوا النظر فى الأفق البعيد ، لأنهم لم يقعوا على غايتهم فى هذا الأفق الخادع .

وهذا (بول فرلين) أحد شعراء هذه المدرسة لم يستطع أن يثابر على النظم وهو خارج عن نفسه ، فتمرد على احساسه وتمرد احساسه عليه ، فعاد يترجم عن مشاعره مضطراً ، لأنه لم يقدر على كبحها ، ولكن بأسلوب غير الأسلوب (الرومانتيكى) لأن فلسفته العميقة ساعدته على خلق فنه ولغته . فنزل الى أعماق النفس ، وهبط الى حيث تكمن المشاعر (١) (فى الخليات المظلمة) فأيقظها

(١) اشارة الى انتمائه للمدرسة (الرمزية)

وأحياها وأدناها من عالم النور والحركة، بعد ان كان يغمرها الظلام والسكون.

حقيقة المذهب الرمزى :

كان (ديكارت) يزعم خطأ يوم قال : بان لا مستقر فى الدماغ الا للافكار الواضحة ، وخلا هذه الافكار لاتقوم الا المادة الجامدة التى لاتحتوى على شىء ، ولكن الفلسفة الحديثة نقضت هذا الرأى ، وأثبتت ان هنالك فى الدماغ مجموعة من احساسات وافكار وعواطف ، كلها واضحة بادية ، ووراء هذه المجموعة، مجموعة عواطف نائمة ضعيفة ، حتى لكأنها تحيا بنصف شعور ! وهذه العواطف قد لايأبه بها الانسان الا اذا نزل اليها وتنبه لها ، ولكن الانسان — فى أغلب الاحيان — ينقاد لها على غير وعى ، ويقبل حكمها وهو جاهل مصدر الحكم ، ويتبع ما أغرته به وهو غافل عن مكمن هذا الاغراء.

مع هذه العواطف القائمة تحيا كل ميولنا الفنية ، واحساساتنا الشعرية ، ونحن لانكاد نشعر بها . فنقرأ المقطوعة الجميلة ، فتتيقظ هذه الميول وتستفيق هذه الاحساسات ، لهوى جاء فى هذه المقطوعة كان سبب يقظتها ، فتهب وتظهر وتتوارى وترتخى وتشتد حسبما تشاء . فاذا عرجنا بهذا الهوى على المنطق والعقل تبدل الحكم وتغير الوضع ، وجاءت النتيجة : اما مؤيدة لهذا الهوى أو ذاهبة به . على أن هذه الاحساسات نفسها تبقى مبهمة ، متدثرة بشىء من الغموض والخفاء . لايدرك من أين بدأت وانتشرت ، والى أين تناهت وتلاشت.

أليس من واجب الشعر اذا ان يعبر عن هذا الهوى وهذا التناقض فى الاحساسات التى لاتحصى ؟ فاذا كان النثر الواضح المنطقى العقلى واجبه ان يعبر عن أفكار ظاهرة ، وعواطف بادية ، ومواضيع يراد تقسيمها الى فصول واجزاء لكى تدنيها من الافهام فان الشعر واجبه ان يعبر عن ذلك الاحساس الباطنى الذى يكمن الجمال فى حناياه.

إن (البرناسيين) وصفوا الجمال للجمال نفسه لا لغاية . وخدموا الفن للفن لا لحاجة . (ولكن الرمزيين) اعتبروا هذا المذهب وما قبله من المذاهب لا يصلح منها شىء للشعر ، اذ — فى الامكان —

تحويل ما رصفوه ونظموه الى نثر لايذهب ببهجة معانيهم . وانصرفوا هم الى انفسهم ، وفى انفسهم تلك العوالم الواسعة الطافحة بالاحساسات المبهمة ، والاهواء المظلمة . لا يرسل اليها أحد عقله حتى تلاشى ، ولا تلين للتعابير الواضحة لأنها تذهب بمعناها . والاحساس الحقيق هو الاحساس الذى يختلج فى النفس دون أن يستطيع البيان أن يعبر عنه . ولهذه الاحساسات — كالصور الخيالية — رسائل لا يمكن أن تقيدها الاغلال المنطقية ، والقيود الشعرية التقليدية . وهذه الرسائل التى تستعين — بالاحساس وحده — لتفهمها ، ولا تستعين بالدماغ الذى يفككها ويقضى على روعتها ، هذه الرسائل هى الشعر الحقيق وهذه الاحساسات الباطنة هى التى حدت (بالرمزيين) الى أن يعالجوا أعمق عالم مظلم فى أنفسنا ، ويعبروا عن هذا العالم تعبيرا شعريا.

أجمع علماء النفس على أن العقل الواعى ماهو الا مظهر حقير من مظاهر العقل الباطن الكامن فى (اللاشعور) وهذه العقيدة الفلسفية اضطرت الشعراء والفنانين الى الانطلاق من قيد العقل الذى لايحكم الا بوعيه ، ولا يخضع الا لحكمه ، وقالوا ان العقل الواعى بما فيه من أفكار واضحة انما وجد لكى نستخدمه فى حياتنا العملية والتفكيرية . ولم يوجد ليكون معبراً عن الحياة الشعرية ، إذ يجب على الشاعر أن يرتفع عن هذه العوالم المتجسدة ، ويخوض فى البقاع التى يتلاقى فيها النور بالظلمة ، والبيان بالغموض والشعور باللا شعور.

الشعر الرمزى والاحلام :

لانكاد نجهل نصيب الرؤى التى تطرقنا فى أحايين وأحايين . فثمت أحلام وأوهام وحوادث تبدو وتتوالى . لا يدفعها جهد ، ولا يربط ماينها منطق . تظهر كقوة خفية لايمكن تعليلها ولا تحليلها على أن بعض هذه الاحلام قد يجىء عذبا لذيذا يسعد النفس بما يحمل اليها من أوهام ، أليس من هذا البعض تلك الاحلام التى تغنى بها الشعراء لأنها مثلت لهم أطياف الاحباب ؟ فودوا لو ان حياتهم الحقيقية تكون صورة من حلم لأن شعورهم الجائع النائم مثل لهم — بدوره — هذه الأحلام . ولكنه تمثيل ، ليس له تعليل

وهكذا قد تأتى الصور الشعرية مماثلة لهذه الصور الوهمية ، صورة أو صوراً تتتالى ، يحدوها وهم لا حقيقة له ، ولا يمازجها شيء من الشعور ؛ ولكنك تتلوها وتتلوها ، فيخيل اليك أنك دخلت فى عالم جديد تتلس فيه هذه الصور ، فترى بعينيك ما يجب أن يرى ، وتسمع بأذنيك ما يجب أن يسمع . وقد تستقرىء هذه الصور الوهمية ، وتحس مواضع التخلخل فيها والاضطراب المنطق والتباين العقلى ، وتشعر بأن المطابقة فيها مفقودة ، والتناسب معدوم . تستقرىء هذا كله وتستوضحه بأجمعه ، ثم يخيل اليك أن هذه الصور الوهمية انما هى حقيقة ، وأنها باعثة فيك ما تريد من أسباب الرضا والسرور .

وقف الشاعر (كارنور راميورد) شعره على التعبير عن مثل هذه الصور الوهمية ، قد ولد فى مدينة مكتظة بالمصانع تقلق آلاتها الراقدين والساهدين؛ وكان يرى - برغم ذلك - موطنا يستسلم فيه الى أحلامه التى تحمله الى عالم الغيب والذهول ، حتى أصبح يرى فى الحانة معبداً . وفى كثير من مقطوعاته كـ (سفينته الضالة) جاء بأفكار غامضة كل الغموض ، وتعابير مبهمة كل الابهام . لأن الشاعر يخلق لنفسه الحروف والكلمات التى يراها مؤتلفة مع نفسه ، ولكن فقدان التسلسل المنطق يرخى على المقطوعة سدول الغموض ، حتى لينتقل الابهام من الأفكار والمعانى الى الصور الشعرية ، وإذ ذاك يغدو القارىء شبيها بمتدحرج أصابه دوار فى بصره شغله عن التأمل والتفكير .

الشعر الرمزى والموسيقى :

الموسيقى قبل كل شىء ! الموسيقى دائماً وأبداً
ليكن شعرك شيئاً يطير من النفس صاعدا الى سماوات أخرى .

(بول فرلين)

الفن الشعرى : — أنت تعلم ذلك التأثير الذى تثيره فى النفس الواعية تلك الألحان الشائعة ، لبحر يهدر ، أو لجدول يخر ، أو لنغمة تعلو من آلة موسيقية . فهذه الألحان لا تكلم العقل رأساً ، وانما تكلم — قبل عقلنا — احساساتنا . فيخيل الينا أننا منطلقون منعتقون ، وأننا لم نتأثر بالعقل والمنطق . فتحملنا هذه الألحان ونحن كسالى هامدون ، الى عالم مملوء الراحة والسكون .

وقد فهم الرمزيون هذه الوشائج النفسية العميقة فأعلنوا - وفى طليعتهم - « فرلين ، ورامبو ، وملارمى » أنهم سيتخذون من الكلمات ألحاناً موسيقية ، وأنهم سيعنون بوقعها قبل عنايتهم بمعانيها ! فكانت هذه الثورة ثورة منتجة للغة ، لأنها تهذبها وترققها وتجملها ، ولكنهم — كما أحسنوا فى مواطن كثيرة — قد كبوا فى مواطن كثيرة ، لأنهم استعملوا كلمات غريبة ليس لها معنى يميزها ، أو ميسم يسمها ، واستخدموا ألفاظاً مجهولة لا تدرك إلا فى معاجمهم الرمزية ، حتى دعاهم هذا الى الاستخفاف بقيمة الكلمة والنص عن معناها ، والالتفات الى وقع موسيقاها ؛ ولم نكن لننكر أن القوم أحسنوا كل الاحسان فى انعتاقهم من القواعد التقليدية ، وعروجهم بالشعر الى مرابع خصبة ندية . فاللغات لا تزال قاصرة ، لا تحدد كل كلمة مدلولها الذى وضعت من أجله . ولا تزال تضيق عن استيعاب ما يجود به عالم النفس الأكبر من الخواطر الكامنة . ولكن هذا القصور لا يحمل القادر على توسيع شقة الابهام . وترك الامر فوضى بين الأفهام ، فان فى استطاعة الشاعر أن يتخير الكلمة الواضح معناها ، والحسن موسيقاها ، وهو بعد ذلك لا يخسر من معناه ولا من مبناه شيئا .

فاذا تلونا مقاطيعهم فلنقلها كموسيقى ، فانها قد تلذنا لو كنا خلقنا شعراء . وتولد فينا تأثيراً عميقاً يحملنا - على غير وعى منا - إلى عالم يزداد وضوحا أو غموضا حسب بيان الشاعر .

الشعر الرمزى والطبيعة

التفت شعراء الرموز الى أنفسهم ، ولاحظوا دقائق الحياة الباطنة ونواحيها الغامضة ، ولم يعنوا كثيراً بالظواهر الخارجية نظروا إلى عمر الساعة الهاربة ، والفصل الغابر ، والزمن السائر ، ولجب الحياة العاملة ولا انتهاء لها ، والانحلال والتركيب اللذين لا ينتهيان ، فى هذه اللحظة وفى قلب هذه الحركة وصفوا صور المادة وشرائع الطبيعة الخفية ، فرأوا حقائق الاشياء كأنها تتلاشى بين تبدل المظاهر وبقاء أسبابها . والطبيعة ماهى الا صورة متحركة ورمز مستور مقيد محصور . ورأوا من جهة أخرى ان فهمنا للاشياء ما هو الا صورة من صور احساسنا ، فكأنها تحيا

البقية على صفحة ٣١٨

العلوم

مطالعات واشتات

للدكتور احمد زكى

انقلاب اللاسلكى : الانسان فى كثير من أموره يبدأ صغيرا ثم يطلب الكبر ، يطلب العظمة فى الضخامة والقيمة من الجرم . ولكنه جرى على غير ذلك فى اللاسلكى ، فهو ابتدأ فى الاذاعة بالموجات الطويلة العظيمة ، ثم أخذ بالموجات الأثيرية الصغرى طولا فالصغرى ، ثم بالمتوسطة فالتى دون ذلك فتقسمت الموجات الى طويلة وهى التى تزيد على ١٠٠٠ متر ، ومتوسطة وهى التى بين الألف والمائة ، وصغيرة وهى التى بين المائة والعشرة ، وزائدة الصغر وهى التى دون ذلك . وقد يختلف اللاسلكيون فى هذا التدريج وهذه التسمية ، ولكن هذا لا يؤثر فى الحقيقة الراهنة وهى ان استغلال هـــذه الموجات بدأ بالكبيرة ثم بالتى دونها .
وكانت الشركات الكبيرة تعتقد انه لاحاجة بها الى الموجات الصغيرة حتى قام الهواة فى بقاع الأرض المختلفة على الاذاعة والاستقبال ، معا بتلك الموجات ، وأخذوا فى التغيير فى أجهزتهم والتبديل فى طرائقهم حتى وقفوا على أحسن الشروط لحسن الارسال والاستقبال وكشفوا عن ميزات لهذه الموجات الصغيرة ليست للكبيرة ؛ فمن ذلك ان الصغيرة تحمل الأصوات الى السامع خالصة من هذه الطقطقة والخرفشة وذلك الضجيج والعجيج والنشوز الملح الذى يؤذى الأذن ويحرج الصدر ويذهب بصبر الانسان . ومنها أنها تنفذ فى الأجواء الى مسافة ابعــد وعلى حال أشد حتى لتلف الكرة الأرضية لفا . لذلك ما لبثت السلطات اللاسلكية التجارية أن أغارت على هذه الموجات فاستلبتها واختفظت للهواة بموجات دون تلك أكثر صغراً يجرون فيها ما شاءوا من التجارب فقصر الهواة عملهم على هذه فأتقنوه كسالف دأبهم ، فتجددت الاغارة عليهم فاستلبت تلك الموجات أيضا ، وارتد الهواة الى الوراء ، إلى موجات أمعن فى الصغر . ولكن يظهر أن الشركات اللاسلكية عرفت من مزايا هذه الموجات ما سوغ لها أن تقوم فى العلانية قليلا وفى السر أكثر بدراسة هذه الموجات لتسبق الهواة ، وهم الذين كان لهم فضل السبق الى كشف فضلها . وقد جاء فى الاخبار الحديثة أن شركة مركونى قامت فى الخفاء منذ أكثر من شهرين بدراســة موجات طولها أصغر من متر واحد وانها نجحت فى استخدامها نجاحا كبيراً ، وانها ترجو من وراء ذلك أن تحدث فى فى الاذاعة التجارية انقلابا خطيراً

بدأت بتلك التجارب فى « بيت مركونى » على نهر « التمس » فكانت تذيع من هناك الرسائل تستقبلها مستقبلات متنقلة فى مقاطعة « كنت » بانجلترا وقد تمكن السناتور مركونى بهذه الاشعة التى يسمونها بالمجهرية Micro من الارسال الى أبعد من ١٨٠ ميلا ، والهوائى Aerial المستخدم فيها لايزيد طوله على ثلاث بوصات ، والقوة الكهربائية اللازمة للمحطة المرسلة لاتزيد على تلك التى تلزم لأضاءة مصباح كهربائى

وستكون هذه الطريقة الصغيرة الجديدة شديدة النفع فى القريب العاجل فى المواصلة بين مراكز الشرطة والاسعاف ، وبين بيوت الأعمال الكبيرة وفروعها ، فان الجهاز نفسه يكاد يحمل فى الجيب ، وقد اتضح أن هذه الطريقة المصغرة أيسر فى نقل الصور من الطرق الكبيرة القديمة ، أو التى سنسميها قريبا بالقديمة ، فقد جربها السناتور مركونى فعلا فى ذلك فنقل بها صورة بلغت مساحتها خمسة أقدام فى خمسة كانت غاية فى الوضوح ومثلا فى البيان .

وهـــذه الموجات الضئيلة لاتتأثر بالجو ولا بالضباب ، وفوق ذلك لايمكن استراق السمع منها . ويقول العارفون أنه قد لاتمضى بضع سنوات حتى تصبح الموجات الطويلة اثرا بعد عين

دقات قلب سكنت

الدكتور « هـ . و . كروك » طبيب يسكن « فى أكستر » من

المدن الغربية الجنوبية فى انجلترا ، لا يزال الى اليوم رائحاً غاديا فى مطالب العيش ، ولكن قلبه لا ينبض بالحياة منذ ثمانية أعوام . وليس هو بالرجل الكسول الخامل فهو يشتغل فى الاسبوع ستة أيام كاملة ويسوق سيارته بنفسه ، وهو يعلم وهو الطبيب ان قلبه سكنت ضرباته الى الأبد ،ولا يزعجه ذلك ولا يهمه ،فأنت تراه ينعم بالدنيا كغيره من الأصحاء ، وهو اذا ذكر قلبه اهتم به اهتمام العالم بظاهرة غريبة يحملها بين جوانحه كأن من حسن حظه ان استأثرت الطبيعة بها .

بدأت قصة هذه الحال فى سنة من سنوات بعيدة اذ كان « المستر كروك » يدرس الطب فى مستشفى « جاى » بلندن ، فأصابته حمى روماتزمية أخذت تنتابه ثم تذهب عنه فيصح ، فتعود اليه المرة بعد المرة ،فكان من آثارها اتساع صمامات قلبه فأصبحت لا تنفتح ولا تنغلق كعادتها اذ تدفع الدم كالمضخة فتجريه فى الجسم ، وبانعدام هذا الانفتاح وذلك الانغلاق ، انعدم الصوت الذى نسمعه وهو دقة القلب .

حدث ذلك له فى مرضه الأخير عام ١٩٢٦ ، وكانت حاله لا رجاء فيها ، وكتم عنه الأطباء أمره خشـــية أن يدرك خطره فينزعج ويصدمه الخبر السوء ، فيكون فى ذلك قضاؤه . ودخلوا عليه مرة يفحصونه فأزعجهم أن وجدوه يأخذ سماعة من تحت وسادته يستمع بها الى قلبه . ولكنه ما لبث أن ذكر لهم أنه لم يفتر عن الاستماع الى قلبه كل يوم ،وأنه يعلم ما آل اليه . وعقب على ذلك فى كثير من البشر وشىء من المزح أنه معجب بنفسه مغتبط بان يقدم لهم وللطب حالة نادرة لذيذة ممتعة للفاحص والمتقصى وقد اتصل بالدكتور فى الأسابيع الماضية متصل يستخبر عن صحته فذكر له أنه صحيح لا يحس علة ولا يشكو ضيقا ، وان عضلات قلبه اشتدت اشتداداً سد النقص الذى طرأ على صماماته ، وانه ينعم بالحياة كنعمة المستخبر . وهكذا الطبيعة تحاول دائماً أن تصحح أخطاءها ، فتصيب مرة وتعجز مرارا .

البيض المحفوظ : كل كائن حى يفسد على الزمن ، وكل نتاج من كائن حى تظل فيه الحياة حينا ، ثم يعتريه الفساد كذلك . وتدخل فى هذه الأنتجة اللحوم والخضروات والحبوب وما اليها . وكان المعروف أن البرودة تطيل من صلاح هـــذه الأطعمة ، والحرارة تعجل فسادها ؛ فعمدت المصانع الى استخدام الكهرباء والكيمياء فى بناء الخزانات الباردة ، منها الصغير الذى يستخدم فى المنازل والمعامل ، ومنها الكبير الذى يبلغ القصور حجماً ؛ وقد أفادت هذه المبردات التجارة فوائد كبيرة أدت الى انتشارها انتشاراً واسعا . وعمدوا فيما عمدوا اليـه الى البيض يحتفظون به فى تلك الخزانات ، ولكن التجربة دلت على أن البيض فى اختزانه يفقد الشىء الكثير من جدته رغماً من برودته . ويرجع هذا الى تغيرات فسلجية وبيلجية تحدث طبيعة فى داخل البيضة من العسير الشاق إيقافها بالتبريد .

وقد ظهر فى دورية « الصناعات الغذائية » Food Industries وصف لطريقة جديدة يختزن بمقتضاها البيض مبرداً ولكن فى جو من غاز الكربون أعنى ثانى اكسيد الكربون فيخرج بعد أشهر ثمانية صيحا لا يمكنك تمييزه من البيض الطازج ، وتفصيل ذلك أن البيض المختار يوضع فى خزانات مختومة فى حجرة لا تزيد حرارتها على الصفر . ثم تفرغ الخزانات من الهواء وتملأ بغاز الكربون حتى يزيد ضغطه قليلا على الضغط الجوى ، وذلك خشية أن يكون فى الخزانة ثقب غير منظور فيتسرب اليها منه الهواء . وغيرهذا يجعلون على ظاهر الخزانات أنابيب للتبريد تجعل حوائطها أبرد من جوفها ليتكثف بخار الماء داخلها على تلك الحوائط. فلا يسقط على البيض ، فانه ان فعل ذلك أثر على قشر البيض بما يحتويه من غاز الكربون الذائب نخشنه وحببه . ويظهر من هذا الوصف أن النفقة لابد كبيرة ، ولكنهم يقولون إن البيض المحفوظ بهذه الطريقة يباع فى أشهر القلة بأثمان تزيد على النفقة زيادة مربحة

كمرة تبلع —ولكنها بالطبع صغيرة لكى تمر فى الحلقوم فالمرىء ثم تستقر فى المعـــدة فتصور مافيها . وهى على شكل اسطوانة طولها بوصتان وقطر قاعدتها خمسة أثمان بوصة . وتتصل بها انبوبتان أحداهما لتوصيل التيار الكهربائى الى مصباح وامض Flash lamp تحمله الكمرة ، والانبوبة الأخرى لتحمل السلك المتصل بغطاء العدسة يفتحها ويغلقها وهى فى جوف الانسان . استخدمت هذه الكمرة فى لندن فلقطت ١٦ صورة من جدران المعدة فى ٢٠ ثانية.

وهذا لاشك فتح جديد فى تشخيص امراض المعدة ، فاننا اذا عجزنا عن نزعها من الجسم كما ننزع اجزاء المكنات لفحصها

الثعبان والانسان

للدكتور حسين فرج زين الدين

دكتوراه فى التاريخ الطبيعى من فينا

من رسالة قيمة وضعها فى (الحيات المصرية) سننشر بعض فصولها تباعا

لعل من يزور حدائق الحيوانات بالجيزة لايستوقف نظره شيء اكثر مما تستوقفه تلك الحيات السجينة فى بيوتها الزجاجية ، فهى على الرغم من جمال منظرها وماهو معروف من نعومة ملمسها تبعث فى النفس شيئا من الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من سجنها والامان من شرها يهتز القلب فزعا منها ، ولعل السر فى ذلك تلك الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن فتكها وخيانتها حتى جاء ذكرها فى كثير من تشبيهات الكتاب وخيال الشعراء . كما ورد ذكرها فى الكتب السماوية

وقد يكون ذلك راجعا الى شكلها الطبيعى ووقوفها شاخصة لاتغمض ولا تطرف وحركات السنتها الدائمة السريعة ، واعتقاد الناس خطأ أنها أعضاء اللدغ منها فترى أثر الخوف منها شديدا فى نفوس الكبار الذين عرفوا شيئا عنها ، ولكن الاطفال الصغار لايدركون قليلا ولا كثيرا من أمرها ، وكذلك صغار القردة قد ترى الافاعى زاحفة فلاتخشى ان تقترب منها وتلمسها وتلعب بها ، وقد ايد هذه المشاهدة البحاثة ميتشل فى تجارب عدة قام بها ، وقد أثبت كل من العالمين wall & Mell بعد بحثهما فى أفاعى الهند والصين انها على ضخامتها تفزع من الناس ، وتفر منهم ولا تحاول ايذاءهم الا محرجة مضطرة للدفاع عن نفسها ، غير ان ذلك لم يقلل من اعتقاد الناس بخطرها ، وليس هـذا عجيبا منهم فانها كانت دائما موضع اهتمام عظيم . كثر ذكرها فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وفى الكتب الادبية والعلمية ، فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى وثعبان كليوبطرة ، وترى اسكليبوس إله الطب عند اليونان يحمل عصاً ملتفة عليها أفعى ، وابنته هيجيا إلهة الصحة ترى دائماً معها أفعى تقدم اليها الماء ، وقد صنع عقداً لآلهة مينرفا من صور الأفاعى ، وإن رأس ميدوزا إلهة الانتقام معصوب بها ؛ وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف ، وكان من الخرافات السائدة فى الشعب فى ذلك العهد ، أن هذه الأفاعى الخطرة تختلط بالناس فى بيوتهم وتعيش بينهم على العسل والنبيذ لا تمسهم بسوء . ويروى أنها ظلت على هذا الولاء للناس حتى كان لأحد التجار طفل فعدا عليه يوما ثعبان صغير فلدغه فمات ؛ ولما عادت أم الثعبان وعلمت بجريرة ابنها قتلته ارضاء لآل الطفل . ومنذ ذلك اليوم هجر الأفاعى البيوت الى الخلاء ، وساجلت أبناء آدم العداوة ، وأضحت لدغتها قاتلة . ومنذ ذلك اليوم أيضا جعلت الأفعى رمز القوة ، ووضعت على تيجان الملوك القدماء .

وروى بلوتارك المؤرخ الرومانى أن قبيلة السلر وهى من القبائل البائدة ، كانت فى رجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الحيات ، وكانوا يحافظون على طهارة أصلابهم ونقاء دمائهم المحافظة كلها ، فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يتصلن أى اتصال برجال من غيرهم ، وكانوا يستوثقون من هذه الطهارة بأن يطلقوا الحيات السامة على أولادهم حين ولادتهم فان قتلت واحدا منهم تبينوا خيانة أمه .

ومن الحيات المعروفة فى الهند ذات النظارة وتسمى الناشر الهندى ، وفى الاساطير التى تروى عنها ان الأله بوذا هبط مرة الى الارض على شكل انسان ونام فى الهواء فجاءت هذه الحية ونشرت عليه عنقها فأظلته من الشمس فجزاها على ذلك بان آمنها من شر المخلوقات جميعا ، وبعد حين ذهبت اليه الحية تقتضيه وعده وتشكو اليه الطيور الجوارح واضرارها بها فوهبها تلك النظارة تمتاز بها لدى الطيور فتخشاها ولا يصل اليها اذاها .

ومن الروايات الشائعة التى يتناقلها سكان الجمهورية الفضية ان البقرات التى يقل ادرارها تكون قد رضعتها الحيات ، بل يعزون ضعف بعض أطفالهم الرضع الى أن الحيات تمر ليلا بأمهاتهم فترضع ثديهن

واصلاحها بعدسة العين فلا أقل من أن نراها وهى فى مكانها بعدسة الجماد . ومن عجائب ماتستخدم فيه الكمرات مما يتصل بالطب ماقرأته أخيرا عن مريض فى البرازيل أصابه فى عينه مرض أعجز الأطباء . وكان لابد من تشخيصه عاجلا والا فقد المنكود بصره . وفى وقت غاية فى القصر صوروا عينى المريض وأبرقوا بالصور على اسلاك التلغراف الى برلين الى احد الاخصائيين ، وما لبث هذا الاخصائى أن فحصها وعاد فأبرق الى البرازيل بالداء والدواء وبهذا نجا المريض من ظلام ليل دائم .

احمد زكي

ويعتقد الناس أن فى الحواة سحرا أو قوة خارقة يسلطونها على الحيات. فى الهند مثلا يمر الحاوى بالناشر الهندى ومعه عصا ومزمار، فيظل يداعبه بالعصا والحية تعضها، وبعد ان يكون قد أجهده التعب يزمر له فيهدأ ويسكن فيظن الناس أن الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفا منه. والواقع انه يكون أفرغ سمه حين عض العصا كما يحسبون أن للقيثارة أثرا فى تهدئته، والحقيقة انه التعب الذى اضناه.

وكذلك نرى حواتنا فى مصر يطوفون بانواع من الحيات يحملونها عادة فى جراب من الجلد ويلعبون بها العابا مختلفة فيطوقون بها بعض النظارة أو يضعون رؤوسها فى أفواههم أو يمزقونها باسنانهم أو يتركونها تشرب من اناء ثم يشربون منه، ومنهم من يدرب بعض القردة على اللهو بها وقذفها على الناس ويوهمون العامة ان ذلك راجع الى سر الولاية الرفاعية فيهم، والحقيقة ان بعض هذه الحيات ليس ذا خطر مطلقا كالدساس الذى يعتقد الناس ظلما انه اشد انواعها خطرا، وكأنواع الارقام وكبعض الحيات الاخرى الخطرة المنزوعة الانياب، ولا يعرف غير الحاوى سر ذلك.

وقد حدث فى المنيا فى مايو سنة ١٩٣١ ان احد هؤلاء الحواة الرفاعية كان ينزع أسنان ناشر فأفلت من يده ولدغه فمات. وحية الناشر محفوظة الى الآن فى المستشفى الاميرى هناك

اما الطريقة التى يستخدمها هؤلاء الناس فى امساك الحيات فانها ترجع اولا الى الذعر الذى يعترى الحية عند ما يفاجئها مفاجىء غريب فانها تقف بغتة بتأثير الحركات العكسية فيها، ثم الى خفة حركة الصياد فى القبض على رقبة الحية، وفى تحريك عصاه، والى قوة تأثيره النفسى وشعور الحية بهذه القوة كقوة التنويم المغناطيسى. والدليل الآتى يؤيد صحة هذه النظرية. وذلك أنه قد تقدم أحد الاشخاص وكان يخاف من الحيات فامسك دساسا فعضه، ثم تقدم آخر لا يخشاها ولا يخاف منها وأمسك الحية، فلم تحرك ساكنا وكلاهما لا يدين بمذهب الرفاعية.

وعلى ذلك لا يجوز أن تعزى قوة الحواة الى شىء من السحر أو الولاية، ولا أدل على ذلك من أن أهالى البرازيل وعمال حديقة الحيات الشهيرة عندهم يمسكون بأنواع الحيات، ومنها ذات الجرس المخيف دون أن يمسهم سوء، وهم ليسوا أتباعا ولا ينتسبون للرفاعى.

وقد شاءت حكمة الله أن يسلط بعض المخلوقات الحية على بعض حتى لا تزدحم بها الأرض أو يطغى جنس منها على غيره من الأجناس، ولهذا نرى رحى الحرب دائرة بين هذه المخلوقات منذ نشأت الدنيا فبينما نرى الطيور الجوارح وغيرها مسلطة على الحيات فلا تكاد تراها حتى تنقض عليها وتمزقها تمزيقا فلا تحميها منها لدغاتها ولا سمومها، تجد هذه الحيات بدورها مسلطة على الضفادع والسحالى وصغار الطير والثدييات، ولا ينجو من شرها الانسان نفسه؛ فكثيرا ما تعدو عليه وعلى أطفاله وعلى ما يربى من طيور وثدييات نافعة كما تفعل الأراقم فى مصر والبواء فى الهند والبرازيل وهناك الحيات المائية الشرهة التى تفتك بالاسماك؛ ويكثر فتك أنواع من الحيات بالانسان فان للغريبة والناشر فى الهند وذوات الاجراس فى أمريكا والابتر والناشر فى افريقيا ضحايا لا ينهض بعبء احصائها العادون.

ولكنها الى جانب هذه الاضرار لا تخلو من فائدة، فهى تقضى فى الهند على الفيران التى هى من أكبر العوامل فى نقل عدوى الطاعون فتقلل بذلك انتشاره وتحمى البيوت والمزارع من هذه الفيران كذلك وبخاصة الغيطية منها، وبعض الحيات تأكل الديدان الضارة، وهناك أنواع ضخمة تؤكل لحومها ويصنع من جلودها أجود أنواع الأحذية وحقائب السيدات.

العالم المسرحي والسينمائي

« فلم عيون ساحرة »

لناقد « الرسالة » الفنى

عرض فى الاسبوع الماضى فلم (عيون ساحرة) للسيدة آسيا فى دار سينما فؤاد ، وبرغم الدعاية الواسعة النطاق التى استمرت أشهراً طويلة قبل عرض الفلم ، والضجة التى قامت أخيراً بسبب تعنت قلم المراقبة مع أصحاب الفلم ، وعدم اجازة بعض مواقفه والسماح بعرضها ، على رغم كل هذا لم يلق الفلم من اقبال الجمهور ماينبىء عن نجاح كبير ، وهو ما يؤسف له حقا أشد الأسف ، فان صناعة الافلام المصرية فى أشد الحاجة الى التشجيع والمؤازرة ليشتد ساعدها وتمضى فى طريقها بخطى ثابتة نحو الرقى والكمال .

يمتاز هذا الفلم من سابقيه بانه نحا فى فكرته وفى اخراجه منحى جديداً لم نألفه بعد فى أفلامنا المصرية التى كانت فى الأغلب تدور فكرتها حول مواضيع مصرية بعضها عادى لا غناء فيه ، وبعضها فيه من المحاولة والجهد ما يدل على رغبة صادقة فى التجديد والابتكار ، وان قعدت الوسائل المحدودة والجهود الشخصية التى لا تقوم على أساس صادق من العلم أو التجربة بأصحاب هذه الافلام عن تحقيق ما يطمعون فيه من التقدم والتجديد .

فكرة الفلم معقدة بعض التعقيد ، او قل انها كانت من العمق بحيث أصبح من العسير على الجمهور ان يلمسها او يفهمها للوهلة الاولى ، والى هذا اعزو انصراف الجمهور عن الاقبال على مشاهدة هذا الفلم . والواقع ان الفلم لا تنقصه عوامل الاغراء التى تدفع الجمهور عن حضوره فمن مناظر جميلة خلابة ، وجو يكتنفه غير قليل من الرهبة والغموض ، وحيل سينمائية لم يألفها جمهورنا فى الافلام المصرية ، الى غير ذلك من دواعى الاقبال . ومع هذا كله فالواقع ان الفلم لم يصادف نجاحا كبيرا . وارجح ان السبب الاول فى هذا هو عدم تفهم الجمهور لفكرة الفلم وعدم تتبعه لها فى مشاهده المختلفة .

على ان اصحاب الفلم ، على ما اظن ، قدروا ان نفس هذه العوامل مع الغموض الذى يسود الفلم والفكرة الغريبة التى يعرضها ، هى التى ستدفع الجمهور الى التزاحم على مشاهدته ؛ فكانوا فى تقديرهم مخطئين . وأمثال هذا كثير مألوف فى عالم السينما فى اوربا وامريكا على السواء ، وكم من افلام أنفق عليها آلاف الجنيهات واشترك فيها أقطاب السينما من ممثلين ومخرجين ، وقدر لها النجاح ، ثم لم تصادف اقبالا من الجماهير فتكبد أصحابها خسائر جسيمة . ولكن ما كان اغنانا نحن فى مصر ، ومازلنا فى خطانا الاولى فى هذا الميدان المترامى الاطراف الوعر المسالك ، عن ان نجازف مثل هذه المجازفات الخطرة ولما تنضب بعد بين أيدينا المواضيع التى يصح ان نستمد منها مادة لأفلامنا المصرية .

على أن المخرج لم يفلح فى خلق الجو الغامض المخيف الذى يسود مثل هذه الافلام ، ولذلك كانت مشاهد الفلم - وليست لها تلك الروعة التى تناسب الفكرة - تقابل من الجمهور بكثير من عدم الاكتراث والمبالاة . على أن المحاولة فى ذاتها محاولة جريئة مبتكرة - من ناحية الفلم المصرى على الاقل - وقد أراد المخرج أن يسير فيها على نمط بعض الافلام الغربية التى من هـــذا النوع كفلم « فرنكشتين » ولكن لم تسعفه تجاربه وخبرته من الناحية المعنوية ، ولا ما تحت يديه من عدد وآلات من الناحية المادية . على اننا نرجو الا تثبط هـــذه التجربة - وما كانت لها من نتائج تدعو حقا الى اشد الاسف - عزائم السيدة آسيا وتثنيها عن متابعة جهودها ، ولعل فلمها القادم يكون أحسن حظا وأكثر نجاحا ورواجا .

***

ذكرنا أن بالفلم مشاهد رائعة الجمال من تلك الحدائق الغناء والقصور الانيقة والرياش الفاخر مما يعطى لمشاهدى الفلم فى الخارج فكرة طيبة عن هذه البلاد ، وعن مفاتنها ومغانيها ، وينفع فى الدعاية لمصر نفعا لاشك فيه . وقد تقف مميزات الفلم عند هذا الحد فاننا اذا شئنا أن نتحدث عن بعض نواحيه الفنية وجدنا فيها نقصا كبيرا لعله

واضح ملموس حتى لا يخطئه أقل الناس خبرة بمثل هذه الشئون. فالصوت لم يكن حسن الالتقاط ولا دقيقه ، والجمل مقطعة تقطيعا غريبا حتى لتمر الثوانى بين الكلمة والكلمة فى الجملة الواحدة ، وربما اقتضى الموقف ان يلفظها الممثل فى تدفق وحرارة ، فهذا التقطيع يفسد وقعها ويضيع على المشاهد الاثر الذى كان يجب أن تخلفه فى نفسه. وصوت الآلات الموسيقية كان أشبه برنين الاوانى النحاسية منه بوقع المثانى والمثالث كما يقولون احيانا . . . وكانت « خشخشة » الصوت وما فيه من عيوب واضحة تذكرنى بتلك الآلة الملعونة « الراديو » التى تزعجنى فى المنزل أى ازعاج ، وقد عدت اليوم شديد الاعجاب بها والرضاء عنها .

كذلك كانت الاضاءة ، إلا فى بعض المشاهد الخارجية التى تغنى فيها أشعة الشمس الساطعة عن الآلات التى قد لا تستخدم على الوجه الأكمل .

وللمرة الأولى — على ما أذكر — تغنى السيدة آسيا ، ولست ممن ينصح لها بالغناء ، على الأقل حتى تجد الآلات اللاقطة التى لا تشوه الصوت وتجعله بحيث يصادف وقعاً حسنا فى الأذن ، وارتياحا فى نفس المتفرج . وعلى كل حال فما أظن أن أفلام السيدة آسيا — مهما أكثرت فيها من المشاهد الغنائية — ستعد فى يوم من الأيام من الأفلام الموسيقية ، فالخير لها أن تقتصد فى هذا أو تعدل عنه بالمرة .

* * *

بذل ممثلو الفلم جهداً كبيراً فى أداء أدوارهم على أحسن وجه ممكن ، على أن الحظ خانهم فى كثير من المشاهد ، ولم يصادفوا التوفيق الذى كانوا أهلا له ، ونلاحظ على أحمد افندى جلال أنه كان كثير التقيد فى حركاته ، كثير الاضطراب فيها ، حتى فى المشاهد العادية التى تخرج عن دائرة السحر ووقوعه تحت تأثير دليله . ولو ترك نفسه على سجيتها ، وكان فى دوره أكثر بساطة وأقل تكلفا لكان خيراً مما رأيناه .

بقى أن نقول ان الحوار فى الفلم لم يكتب بشىء من العناية ، والنقص فيه واضح جداً . كما أن تقطيع الفلم لم يخل من الارتباك والاضطراب ، وما نجد غناء فى تفصيل كل هذا .

وفى النهاية أظن أن من الخير ، ومن التشجيع للسيدة آسيا على مداومة الجهد والعمل ، أن نشكر لها ما بذلت وما حاولت ، وأن نرجو لها فى الأفلام القادمة ما تصبو اليه من النجاح والتوفيق . فان أخطأها الحظ اليوم ، فما نظنه يخطئها فى المرات المقبلة .

على مسرح الاوبرا الملكية

تعمل على مسرح دار الاوبرا الملكية هذه الأيام فرقة غنائية فرنسية تضم بعض ممثلى دار « الاوبرا » فى باريس « والاوبرا كوميك » . وقد جرت التقاليد ان تشغل هذا الفصل من موسم الاوبرا فى مصر فرقة ايطالية ، وقد حرم الجمهور بذلك من الفن الموسيقى الايطالى على ماله من القدر والقيمة الفنية التى يعرفها عشاق الفن الموسيقى الغربى ، واتيحت لنا هـــذا الموسم فرصة للتمتع بهذه الاوبرات العظيمة التى وضعها كبار الملحنين الفرنسيين .

ومن الاوبرات التى تعرضها هذه الفرقة « تاييس » و « مانون » و « لاكميه » و « كارمن » و « صيادو اللؤلؤ » و « فرتر » و « حياة البوهيميين » و « فاوست » وكلها من أشهر الاوبرات المعروفة ، وبعضها مأخوذ من قطع أدبية لها طرافتها ولها قدرها فى عالم الادب كفاوست وفرتر لجيته ، وتاييس لاناتول فرانس ، ومانون للاب بريفو

وقد شاهدنا من هذه الاوبرات « تاييس » و « كرمن » و « مانون » ولمسنا عن كثب ما بذله أقطاب هذه الفرقة الغنائية من جهد ، ومقدرتهم فى اداء أدوارهم المختلفة خير أداء . ونعمنا بأمسيات طيبة فى دار الاوبرا روحت عن نفوسنا كثيرا مما نعانيه من الغصص لما يلحق مسرحنا المصرى من الركود بل العدم .

على أن من الحق أن نذكر بهذه المناسبة أن مناظر دار الاوبرا وملابسهـــا أصبحت قديمة بالية على ضخامة ميزانية الدار التى لا يخصص منها الا القليل للنواحى الفنية الخالصة ، وقد كان هذا سببا فى الا تبرز هذه الاوبرات فى المستوى الفنى الحق الذى يضفى عليها جلالا وروعة ، ولهذا يحس المتفرج كثيرا من النقص ، ولا تخرج الرواية بذلك فى الثوب الفنى اللائق بها ، ومن الواجب ان نذكر أن دار الاوبرا لا تستطيع بمعداتها اليوم أن تجارى وسائل التجديد فى الفن المسرحى الحديث ، ومن الخير الا تكون دارنا الرسمية للفنون فى مستوى أقل من الواجب ، وفى مرتبة أقل من مثيلاتها من دور الاوبرا فى العالم .

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج

هوليود

تعد هوليود للسنة الجديدة برنامجا حافلا بروايات من أقلام أكبر الكتاب العالميين المعروفين . وستخرج شركة مترو جلدوين ماير روايتى (النور الذى خفت) و (كيم) لرديارد كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية كما يسمونه .

وستخرج رواية (ما تعرفه المرأة) للكاتب الانجليزى الشهير بارى ، وتقوم بالدور الأول فيها هيلين هايز . كما تعد رواية (صور من المستقبل) للكاتب المعروف ولز للظهور على الشاشة الفضية ، وقد سبق أن أخرجت له روايتى (جزيرة الدكتور مورو) و (الرجل الذى لا يرى) . وسيرى رواد السينما رواية (دنيا جديدة عظيمة) من قلم ألدس هكسلى الذى يعد من أعظم كتاب العصر الحديث .

وتستعد شركة راديو لاخراج رواية برنارد شو (تلميذ الشيطان) ويقوم بالدور الأول فيها جون باريمور الممثل السينمائى الشهير

وقد قبل هر اميل لدويج الكاتب المعروف وصاحب التراجم الشهيرة أن تقتبس من كتابه عن نابليون رواية للشاشة الفضية ، وسيمثل دور نابليون فيها ادوارد روبنسون من أقدر ممثلى شركة وارنر السينمائية . وقد عاد لدويج أخيراً من هوليود وذكر لبعض الصحفيين أن فى عزمه أن يضع كتاباً عنها قائلا : إن للمدن كما للاشخاص شخصياتها الملأى بالفواجع والمهازل على السواء .

برلين :

دعا الهر هتلر زعيم حزب النازى ورئيس الوزارة الالمانيـة أنى أوندرا الممثلة السينمائية الشهيرة وزوجها ماكس شملنج الملاكم المعروف لتناول الشاى فى قصره الخاص بمناسـبة مبارحتهما المانيا الى أمريكا .

باريس

ايفون برنتان من أشهر ممثلات المسرح الباريسى وقد دعيت لزيارة لندن لتمثل رواية كتبها خصيصا من أجلها مستر نويل كوارد الكاتب الانجليزى المعروف ومؤلف رواية « كفلكاد » الشهيرة . والرواية من نوع الاوبريت وقد عرضت على مسرح (ماجستى) وربما انتهزت بعض الشركات السينمائية فى انجلترا فرصة هذه الزيارة وتعاقدت مع الممثلة على الظهور فى عدة أفلام غنائية ناطقة .

لندن

ارتفعت الشكاية فى لندن من أصحاب المسارح والممثلين ومديرى الفرق من الضريبة التى فرضتها الحكومة على المسارح ، وعقدت اجتماعات كثيرة للاحتجاج على هذه الضريبة ، واستطاعت سيبل ثورنديك الممثلة الانجليزية الشهيرة بما لها من المكانة والاحترام فى جميع الأوساط أن تطلب من بعض أعضاء مجلس العموم البريطانى ممن يعنون بهذه المسائل عقد اجتماع خاص فى إحدى غرف المجلس للبحث فى هذا الموضوع . وتم الاجتماع منذ أمد قريب وحضرته سيبل ثورنديك وباحثت الحاضرين من النواب فى أمر هذه الضريبة وقد وعدوها بعرض الأمر على المجلس فى القريب العاجل .

قامت شركة جومون الانجليزية للسينما بتجربة هى الاولى من نوعها ، والغرض منها تقريب السينما الى العميان وحثهم على مشاهدتها وأعدت الشركة ثلاث حفلات للعميان عرضت فيها فلم « انا كنت جاسوسة » وكانت الحركات السينمائية يتولى اذاعتها على الحضور احد موظفى الشركة بواسطة ميكروفون خاص دون أن يحول ذلك بينهم وبين سماع محاورات الفلم وحديث أبطاله . وقد نجحت التجربة وخرج الحضور مسرورين من هذه النتيجة التى قربت اليهم احدث ما وصلت اليه المدنية الراهنة من وسائل الرفاهية والمتعة .

وبهذه المناسبة نذكر ان بعض المسارح تعد فى صفوفها الامامية سماعات خاصة يستطيع بواسطتها الصم أن يسمعوا ما يلقى على المسرح اثناء التمثيل .

نيويورك

عمت البطالة المشتغلين بالمسرح فى امريكا كغيرهم من أصحاب المهن والحرف الحرة ، واشتدت الأزمة حتى أغلقت كثير من المسارح أبوابها ، وأعلنت بعض الأندية الفنية وجمعيات الهواة أنها على وشك الافلاس ان لم تمد لها الحكومة يد المعونة ، وخفضت المسارح مرتبات ممثليها بنسبة كبيرة ، وتدفع نقابة الممثلين فى نيويورك مرتبات من صندوق التوفير للممثلين العاطلين ، وقد بذلت فى هذا السبيل فى العام الماضى ... ر٤٠ جنيه ، وأعدت هذه السنة مطعما خاصا لاطعام ثلثمائة من الممثلين العاطلين يتناولون فيه طعام الغداء كل يوم مجانا .

القصص

قصة مصرية

المعلم لوقا . . .

اجتاز الترام الميادين والشوارع ، وأخذ ينساب بين الحقول فى الطريق إلى الأهرام ؛ وكان القمر قد نفض الغيوم عن وجهه ، وبدا سافرا يضحك للحقول ، ويحنو على النباتات المرتجفة فى نسيم الليل ، ويناغى الأغصان المشرئبة اليه من أعالى الأشجار ، فانبسطت أسارير « المعلم لوقا » سائق المركبة ، وفارق العبوس وجهه الهزيل اليابس ، وأخرج علبة سعوطه وأدناها من أنفه ، يلتمس الصحو والانتعاش .

لم يكن الرجل فى حال حسنة ، لأن الليلة باردة قارسة البرد ، وهو مسن ، ليس فى هيكله من اللحم ما يقى عظامه المقرورة ، ولو كان معافى لما شكى ، لكنه مريض ، مبهور الأنفاس من السعال ، معصوب الرأس ، يحرك عينيه بعناء كأن السعال قد شدهما فى محجريهما بخيوط قوية . . . ما كان أحوجه أن يأوى الى فراشه ! لكنه آثر أن يشتغل الليلة ، ليظفر بيوم راحته فى الغد ، لأن الغد « عيد الميلاد » ، وهو يريد أن يبقى فى البيت مع زوجته « كتورة » وابنته « ياسمينة » يستقبل المهنئين بعودة الأيام ، والمتمنين أن يمضى الحول ، فاذا بياسمينة أم لطفل جميل .

وإذ ذكر « عم لوقا » فتاته ابتسم ، ونظر فى ساعته يتعجل ميعاد العودة ، ثم أرسل بصره فى الطريق أمامه ، وابتدأ يغرق فى تأملاته : كم له من السنين وهو يقف هذه الوقفة ؟ ! . . إنه الآن شيخ ! كان فتى عندما ارتدى سترة (المصلحة) للمرة الأولى . كان وجهه ناضراً ، وشاربه أسود مفتولا ! وكان له حاجبان جميلان ! وكان شعره مرتباً معطرا ! . . أما الآن فقد صار يابس الوجه ! ظهر الشيب فى حاجبيه ، وعبثت بجمالهما الأيام ! ولم تعد رأسه معطرة مزينة ، بل استغنت عن العطر بأردإ الصابون ؛ ولم يعد للمشط معها شأن ، لأن شعرها قد انتحل ، ولم تذر الأيام منه غير بقايا مبعثرة متباعدة . . . وندت عن صدره آهة طويلة وهو يغمغم : « ما أعجب أمر الحياة ! ! »

وا كتابت نفس « لوقا » واشتد عليه صداعه ، واستيقظ سعاله ، فاضطربت الصور فى مخيلته ، وانهدت قواه ، ولم يعد يملك كل وعيه ، وصار يستقبل بذهول هذه الأصوات المنصبة فى أذنيه من ضجيج العجلات ، وصرير الآلة ، وهمهمة الأشجار فى أذن الليل . . . فلما وصل الترام الأهرام تهالك فى مقعده ، وأغمض عينيه وهو يتحسس بيده جبهته الملتهبة ، ويحدث نفسه : لا بأس . سأقضى العيد مع ياسمينة ، وارتسمت فوق شفتيه ابتسامة سعيدة ، ورقص شاربه الفضى .

حاول أن ينام ريثما يحين وقت العودة ، لكن الالم كان يحتدم فى جمجمته ، ويتردد فى عظامه فيعيده إلى اليقظة . . . وأخيراً آثر أن يفكر ، وأن يرسل روحه فى ماضيه .

واضطربت مقلتاه خلف جفنيه المقفلين ! فقد ذكر (آلة القيادة) . آلته المحبوبة ! التى يحركها فتندفع المركبة ، وتشق الطريق وهى تغنى بعجلاتها فوق القضبان ! . . واشتاقت يده أن يلمسها ، ويشركها سعادته بالعيد ، فمد نحوها يديه . ما أعزها عليه ! أليست رفيقة حياته ، وعشيرته الدائمة ، كزوجته كتورة سواء بسواء ! .

وتقلصت ابتسامته عن شفتيه ! . . ذكر سيئات آلته ، وانها لم تكن له مطيعة ولا مواتية فى بعض الاحيان . وبدت أمام عينيه صور أشلاء مبعثرة ، وطربوش فارق جبهة هشمتها العجلات . ودم قان يبلل الحصى ويصبغ القضبان ! . . . وذهب يستر عينيه بيده المرتجفة النحيلة ، فقد ذكر موقفه فى قفص الاتهام ، فى محكمة الجنايات ، والنائب يحدث المستشارين قائلا : كان الصبى وأخته فى طريقهما إلى المدرسة عند ما دهمهما هذا الرجل الشرير المستهين بالارواح من العدل أن ينال أقصى القصاص .

لقد برأته المحكمة . « ومضت عشر سنوات » لكنه يشعر للآن أنه مذنب . وأنه قد ارتكب خطأ ما . وخيل اليه ان الصغيرين ينظران

اليه بعيون بريئة عاتبة مملوءة بالألم . وأن أبويهما يجدد ان الحزن فى العيد ، ويذهبان الليلة الى الكنيسة فى ثياب سوداء يلتمسان العزاء ويسألان النعيم لولديهما والسلوان لأكبادهما الحرى ، فانسابت الدموع من بين جفنيه وبللت وجهه النحيل ، وغمغم بصوت حزين « رحماك يارب »

وارتد فكره من هذه الجولة فى الماضى . وذكر أن « ياسمينة » تنتظره ليشاطرها طعام العيد ورأى مائدة شهية ، متعددة الالوان عقب أيام الصوم . وما تناول فيها من طعام غليظ مجهز بالزيت ، فسال لعابه . وبدأت اساريره تنبسط ... وبدأ يصفح عن آلته العزيزة وما فعلت . طالما مكرت به كثوره واذنبت اليه وسامحها فلا ضير ان سامح آلته المحبوبة .

وأخذ القمر يغالب الغمام ثم احتجب ، وأظلمت الدنيا وامتدت ظلمتها الى روح « المعلم لوقا » .. عاد فذكر شيخوخته ، وان الحياة ستتبرع له بأيام أخرى قليلة إن كانت كريمة . من يدرى قد لا يأتى عليه عيد جديد ! .. قد تقضى « ياسمينه » العيد الآتى وحدها ، وتشتمل بثوب أسود ؛ وترسل أثوابها الزاهية الملونة الى المصبغة : ويطفىء الحزن لمعان عينيها ، ويذهب ببهجة قلبها ، وتصير ابنة يتيمة منكرة ! ..

نشر يديه فى الهواء كأنه يحاول أن يحميها ، ثم سقطت يداه فوق ركبتيه ، وانتابته رعدة ، وأخذ السعال يصخب فى صدره . ففتح عينيه وأخذ يحدق فى الظلام وقديم وجهه شطر الصحراء ورأى نفسه يرتقى الأهرام كما كان يفعل ايام الشباب ! وخال انه جالس على القمة يستعرض الحياة من هناك ، ويرسل بصره من مكانه العتيد فى القفر البعيد الممتد ! .. هو واحد من هذه الهوام الزاحفة على ظهر الارض يسحقها الموت بقدمه وهى تسعى ، فتصير نسيا منسيا كهذه الحشرة التى يدوسها عابر السبيل ! ..

وبدت له الحياة متعبة ثقيلة لا خير فيها ... ما أشبهه برجل سائر على الرمال ، تائه ضال ، يسير نحو مصير مجهول تضربه الشمس ، ويقرسه البرد ، وتروعه وحوش الفلاة ... يسير ويسير ، وهو ينشد الواحة . ويحتمل الصعاب والمشاق على أمل أن يستريح فى الغد . وتتجلى أمامه الواحة التى طال اليها سعيه واشتياقه فاذا بها أشبار جديبة ، لها وسائد من تراب يستريح عليها راحة الأبد ، ولا يعود يخشى عريا ولا جوعا ...

ماذا كسب من حياته ! .. لاشىء . عمل ، وعرق ، وخبز ... ليست هناك مسرات . ولد وتألم ، سيموت . لم يبق غير المرحلة الاخيرة ...

وحدق فى الآلة التى امامه ، وهى جالسة صامتة ، تنتظر يده لتدور ، وتفنى الوقت فى الدمدمة . لم تعد جميلة فى عينيه ! وود لو يحطمها ! رأى نفسه عبدا لها مربوطا بها يطوف وإياها حول المدينة كما تطوف البقرة الذلول حول الساقية كل النهار . أى فرق بينهما ! .. بل انه أسوأ منها حالا اهى تعمل لقاء حفنة من الشعير ، وهو يعمل لقاء أجر لا ينيله بين الناس الترف الذى نالته بين البهائم ...

ماذا أصاب من حياته ! .. تنهدت روحه ، وأحس كأنه قد حمل على كتفه من ركبوا معه طيلة مدة خدمته . ذكر مركبة الدرجة الأولى التى تكون الى ظهره اذ يقود الترام . وذكر المترفين الذين يصعدون اليها . ناس من طينة غير طينته . ليسو قوما عملقين متعبين مثله أيديهم ملساء ناعمة لم يجر عليها العمل الشاق . وجباههم منبسطة مطمئنة لم يبللها عرق الكفاح ، وليس على وجوههم ثوب الذل الذى نسجه على وجهه الضنك والزمان اللئيم ... ذكر كبرياء بعض السادة وعجرفة بعض السيدات . وخشيتهن على أثوابهن الجميلة أن تمسها سترته الخشنة أو يداه الشقيتان .

ذكر كم منهم ومنهن يندفعون الى باب المركبة وهو يهم بالمسير فتكاد أقدامهم تزل ، فيقتحمونه بأبصارهم وتزدحم أفواههم بكلمات الازدراء والتحقير ، ويصعقونه بلهجة الآلهة وهم يصرخون « يا اعمى » بينما يقيدون (نمرته) فى مذكراتهم ذات الجلد الجميل المزركش ، ليبلغوا شكواهم الى الشركة ، حتى تجزيه بخصم بضعة أيام من راتبه ! .. كم من الأيام عمل بلا أجر ، بفضل هذا العنف من الناس ! كم غضب ويئس وطاش حلمه . وود لو يقتاد المركبات الى النيل لينتقم ويستريح ... عاد الى حلق المعلم - لوقا طعم المرارة الذى يغص به المضطهد والمظلوم . وامتدت انامله المرتجفة الى القطعة النحاسية المعلقة بياقته . وقد نقشت عليها (نمرته) فأحس كأنه مسجون محكوم عليـــه بالعمل الشاق مدى الحياة ، وغمغم . « يارب رحماك ! .. »

ونظر فى ساعته ... بعد قليل سيعود الى القاهرة . سيجمع فى طريقه الخارجين من المسارح والصالات . عشاق مسرات الليل زبائنه الدائمين ، وشر الراكبين . رحم الله ايام الماضى ! لم يكن الناس قد تعلموا الافراط فى السهر ، فلم يكن الطريق يزدحم عند ما ينشطر الليل . وكان يسوق بسرور واطمئنان لا يخشى شيئا ، لأن الطريق خال والناس فى مضاجعهم يستقبلون احلام الفجر ... أما الآن فيجب ان يجلو أعصابه ويشحذ حواسه ، ويلزم جانب الحيطة والحذر ، لأن الحانات بدأت ترفض المتهالكين على الشراب ، وتطرد النائمين فوق الموائد . وهم الآن مبعثرون فى الطريق يترنحون وقد

يحلو لبعضهم أن يداعب السائق ، أو يغني وهو جالس بين القضبان ! .

وقد بدأت الصالات والمراقص تلفظ روادها . دور الدعارة تتقيأ من ابتلعتهم أول الليل . والفتيات خارجات من دور السينما في رفقة الفتيان ! في ذراع كل فتاة شاب ! والذراع حار ! لا تحلو لهم إلا حفلات الليل ! . . تنهد (المعلم لوقا) وهو يفكر ويحدث نفسه : رحم الله ايام زمان ! أيتغير الناس هكذا ! أين جيل (كتوره) وعهد الحرائر ! أين الثياب الفضفاضة ! أين البرقع الابيض . واليشمك ، والحبره ! ذهبت الحشمة وولى الوقار الادبار من (بر مصر) ! . . لم يعد النساء يعنين بصيانة أجسامهن من عبث الناظرين لا يرى نساء محجبات إلا عند ما يمر بسيدنا الحسين والامام ! لكن الملاءة فقدت هيبتها وأصبحت وسيلة بنات البلد لهز الارداف ! . .

ومض السخط في عيني « المعلم لوقا » وحوقل وهو يعيد في ذهنه صورة هؤلاء الفتيان الذين وقفوا بجانبه بالأمس بعد منتصف الليل . كانت رائحة الخمر تنبعث من أفواههم ، والكلمات البذيئة تتكاثر عند شفاههم كما يتكاثر الذباب عند الأقذار . كانوا يتهامسون متهكمين بطربوشـــه الباهت الملوث ، وكيف اسودت حافته . . . وأخذ يجذب شعرات شاربه بعنف وأنامل متوترة ! . .

واتسعت حدقتاه فجأة ! . . صور عنيفة كانت تخطر أمام عينيه ! ذكر أنداد هؤلاء الغلمان من أربعة عشر عاماً خلت . . كانوا رجالا بأرواحهم فتيانا بأجسادهم . لأن الزمان كان يخلق في الفتيان جهد الرجال . كانت الأرواح كاملة النمو تامة النشاط . لم يكونوا يتحدثون عند ما يقفون خلفه عن الفتيات والمودات ، لأن حديثاً آخر كان يشغلهم . ولم تكن تنبعث من أفواههم رائحة الخمر بل قد كانت تقبل الى قفاه . اذ يتناقشون أنفاس حارة ، ترسلها صدور ألهبها الشوق للحرية . لم يكونوا ضاحكين ساخرين ، بل قد كانوا أغلب الوقت حزانى واجمين ، ينظرون في صحف الليل فيصمتون ويطيلون الصمت ، وهم يحدقون في أعمدة من الصحيفة بيضاء لا كتابة فيها ، لأن يداً لا تحب مصر تبعثر الحروف المصفوفة حتى لا تستيقظ الأرواح لكن الأرواح يقظى متنبهة ، تقرأ الحديث ، وتعلم الخطب وإن لم يكن مكتوبا ! . .

لم يكونوا يتهكمون به ، بل قد كانوا يحدثونه عن مصر الفتاة ، والمستقبل ، والأيام الآتية ! . . ويناشدونه ان يلبي داعي الوطن يوم يطلب الوطن المضني دماء بنيه يجدد بها الحياة .

وازدحمت أمام عيني « المعلم لوقا » الصور الجديدة . وبكى كأن العام ١٩ ، والتلاميذ عائدون من مدارسهم يملأون الترام ويكونون مواكب جميلة متنقلة هاتفة للحرية ! وهو القائد لهذه المواكب لانه السائق ، قائد فخور تياه ، لا يزعجه رفيف الرصاص ، تطلقه أيد أثيمة . مشتاقة لابادة الارواح . دانية على صرع الأحرار . وتمثل في ذهنه صورة الفتيان وهم يسقطون مجندلين يهزون الأعلام في أيديهم وهم يتخبطون في دمائهم . . وذكر كيف غلى الدم في عروقه فقفز من الترام وتلقى العلم عن أحد الشهداء . وذهب يعدو في الطرقات يزأر بأن الحياة لمصر والنيل لبنيه ! . . وأحس بدم البطولة يعود فيجري في عروقه ، ويجدد في صدره الحياة ، فشمخ بأنفه ، وصعر خده ، وابتسم ابتسامة استحمت في الدمع المتهاطل من عينيه ، ودس يده في جيبه يلتمس علبة سعوطه وأفرغ ما فيها في أنفه وهو يغمغم ! « ياماشافت العين يالوقا . . »

وكأن صدره لم يحتمل هذا الانفعال فاستيقظ سعاله ، وأخذ يعبث بأنفاسه في غير رحمة ولا هوادة ، حتى اغرورقت عيناه وانصدع جنباه . هي نزلة شعبية مزمنة مضت سنين وهو يتطبب ، وينفق في الادوية نصف اجره الضئيل على غير جدوى . ولم تكن النوبات بادئ الأمر حادة هكذا ولكن مهنته هي التي قضت عليه استقبال هواء امشير البارد وهواء بؤونه الناري هو ما أحدث هذه التهيجات بصدره واتلف رئتيه .. كم هم بترك العمل ، ثم كان يذكر حاجة عياله للقوت . فيعود وهو ناقم . يعود لخدمة سيد يرى أرواح خدامه أرخص من أن تفتدى بالواح من الزجاج تقيهم تغيرات الجو ! ليس أمامه الا ان يخضع ، ويحتمل ، ويدفع ثمن قوته من حياته ، وينفق سلفا أيامه الآتية ليتقي غوائل الجوع في الغد القريب ! . .

ولم تتركه غلته ليفكر ، وبدأ يسعل من جديد .. وتنهد .. لو كان له أولاد لكان الآن في دفء الفراش . رجل سيء البخت . دفنهم بيده اربعة . غيبهم التراب وهم في سن الشباب ليتهم ماتوا صغارا كأخوتهم الآخرين قبل ان تتعلق روحه بهم ويحبهم حبا مفرطا كانت يد المنون تقصفهم كما تقصف الريح السنابل وقد بدأت تمتلئ بالقمح . .

واشتد البرد ، وازداد الليل حلكة ، وساد الارجاء صمت عميق ، وأخذ الرجل ينتفض ، خيل إليه أن أولاده الأربعة يحيطون به ، جالسين في أكفانهم لا تبين منهم غير وجوهم الشاحبة ، وانهم يعتبون عليه اهماله في علاجهم ، وعدم مواظبته في السهر عليهم في مرضهم ، وأمضه هذا الخاطر وأقلق روحه ، وذهب الشك الماكر يعذبه ، وذهب الوهم يصور له أنهم يحتضرون الساعة بين يديه ، وانه يسبل أجفانهم ، ويطبع على جباههم القبلة الاخيرة .

كان يحسب أن الجراح قد اندملت ، وأن يد النسيان قد مسحت الاحزان عن صدره ، فاذا بالذكرى تمزق هذه الغشاوة الرقيقة التي نسجها الزمان ، وإذا بالجراح تتفتح ، وإذا به يحس أن بين جنبيه كبداً قد اخترمها الأسى ، فلم يبق منها غير قطعة كالاسفنج راوية من قيح الحزن وصديده .

ووضع يده على جنبه يلم بها حشاه الممزق، وأخذ يبكي. . يبكي ؟! . كيف ! لم يكن يبكهم وقد كان الحزن جديداً ، لأنه كان وقتذاك رجلا قويا . وكان يزعم أن البكاء للاطفال والاحتمال للرجال ، لأن الرجل كفؤ لحمل اثقال الهموم . بل قد كان ينكر على زوجته أن تعول وتنتحب، ويطلب منها أن تكون امرأة صبوراً قوية ، وكم اختطف حزامه من وسطه وانهال عليها بالضرب الموجع — لترأف بنفسها ! فما باله الآن يبكي وقد صار شيخا ؟ ! ان الاطفال اضراب للشيوخ فى الابانة عن عواطفهم ! .

وأهمته هذه الفكرة ، وأزعجه أنه صار ضعيفا يضطهده الحزن فلا يستطيع حبس دمعه ، وكتم أنينه وحدث نفسه : « والله طيب يازمان ! بقيت عيل يالوقا ! فين عزم الرجال ! . . »

وصعب عليه الأمر فاستخرط فى البكاء وأخذ ينشج نشيجا عاليا .

وإذ هو فى بكائه فاجأته نوبة السعال ، وكانت هذه المرة قوية مجتاحة متلفة . . . وأحس « المعلم لوقا » كأن روحه تتسرب من بين جنبيه . وكانت أعضاؤه ترتجف وتتشنج ، وأنفاسه تختلج فى صدره اختلاجا قويا . ثم أخذت حركته تهدأ ، ورعدته تسكن ، وأنفاسه تعود الى الخمود

وشعر « لوقا » فى تلك الآونة بشوق شديد لياسمينة ، وخيل له أنها مقبلة اليه فابتسم ، ومد نحوها يديه ، ثم سقطت يداه الى جانبه ، ومال عنقه الى كتفه . . .

وأزف وقت العودة ، وذهب (الكمسارى) يتفقد صاحبه : وهمس فى أذنه : لوقا . كل عام وأنت طيب . الدنيا برد . سوق بسرعة هلكنا . يتوب علينا ! . .

كان لوقا فاتحا عينيه يحدق فى الفضاء ، لكنه لم يجب رفيقه ، فاغتاظ ، وظنه لا يحفل بحديثه فلكزه واذا به يتداعى بين يديه . .

وظهر له ماخفى من أمر زميله ، وحدق فى عينيه فعلم أن « المعلم لوقا » قد أنتهى أمره مع الحياة فاسبل جفنيه . ومزق السكون صوت ينادى : « لاحول ولا قوة إلا بالله . . . انا لله وانا اليه راجعون ! . .

كانت (كتورة) تغط فى النوم ، وكانت الأبنة جالسة فى ثوب العيد تنتظر أباها وقد لعب القلق بفؤادها ، فلما قرع الباب تهلل ، وجهها وهتفت وهى تضع يدها على المزلاج : (ابى ، كل عام ، وانت بخير) .

ولم يجب أبوها ، لأنه كان نائماً على كتف رفيقه . وكان يبدو على وجهه ان نعاسه عميق ، وانه لن يستيقظ سريعا ، وحدقت ياسمينة فى وجهه لعله يلين ويستيقظ ، فلم تظفر بغير تلك الابتسامة الواضحة على شفتيه . كانه كان سعيداً ، موفور السرور بالوصول الى الواحة ، . .

يوسف جوهر عطية

مذهب السمبوليسم

(بقية المنشور على صفحة ٣٠٧)

فينا ، أو قل هى نحن . وأنا كلما نظرت للاشياء شعرت بنفسى وأحسست بحياة عقلى . وما تنظيمى للمناظر التى رأيتها ثم نظمى شعراً لهذه الاحساسات الا اباحة منى بجانب أو بجوانب من إسرار نفسى . ونكن ، أليست الطبيعة كلها رمزاً لحياتى ووجودى ؟ أليس هذا الرمز هو الذى يؤلف بين النفس والطبيعة ؟

ان الفنان الرمزى لايجعل همه ان ينقل صور الطبيعة نقلا ويعرضها على الناس ، انه يفسر ويؤول قبل كل شىء مايراه ، ويعطيك ماأوله بتعابير ملؤها الرموز والكنايات ، وعليك ان ترى وتؤول وتفهم هذه التعابير ، لأنه فنان يود الايراك عبداً للراحة ، والفتور . هو يريد ان يطربك بموسيقاه فتطرب ، ولكن موسيقاه. تغرى الأرواح باستقراء الأرواح . فتذهب روحك على أثره . وانت تعلم وقد لاتعلم ! حتى تجوز مايقدر لها ارتفاعها من مراحل . وان فى هذا السفر تعباً ولكنه تعب فيه لذة المستكشف

فاذا كان يطيب لك ان تجول فى بقعة غريبة تطلع على مجاهلها وتفرح بما تجد ، فجدير بك ان تكون اكثر طرباً ، وقد وقعت على بقعة نفسية مجهولة تستكشف مخبوءاتها ; وتقف على مكنوناتها

كتب (ملارمى) جوابا عن سؤال « ان البرناسيين يأخذون الشىء بتمامه ويبدونه للعين ، مع أن تعيينك للشىء هو حذف ثلاثة ارباع لذته ، لأن اللذة الحقيقية تكمن فى الاستكشاف التدريجى . وفى التنويه الذى ينطوى على السحر الذى ألف عالم الرموز.

ولكن هذا الفن الشعرى الذى كانت له مآثره كانت له عيوبه أيضا ، فأصحابه وهم ينطقون عن الغامض والمبهم ، وقعوا فى التعابير المظلمة ، فجاء شعرهم محاطا بحجب كثيفة لاتزيحها الأيديهم.

على أن الشعر الرمزى — برغم هذه الأخطاء والاخطار — قد فتح فى الأدب عالما اتسع للاوهام والحقائق الخفية ، وانشأ روحا جديدا للعاطفة الشعرية التى تعددت وتتعدد من أجلها المذاهب ، وهى واحدة لكنها غامضة لم تزل وراء الرموز ؟

دير الزور خليل هنداوى

الكتب

٢ — أهل الكهف

قصة مسرحية للاستاذ توفيق الحكيم

بحث وتحليل ونقد بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

ألوان التفكير :

لا نقصد الى استقصاء ألوان التفكير فى الرواية . فالتفكير العميق المنساب فى غير لجب ولا عنف هو من أظهر مميزاتها . وقلما تخلو منه صفحة من صفحاتها . والقارىء المطلع على الادب العالى فى الأمم الراقية يألف هذه الأفكار ، ولا يجد هذه المناحى من التفكير غريبة عنه . وانما براعة هذا المؤلف المسرحى حق براعته فى أنه لا يشعرك بأن له فكرة ، أو أنه يفكر ويتفلسف . وانما هى وقائع الحال ناطقة ، وهذا الذى تسمعه هو ما يجرى على لسان الحال ، وتنطلق به كل نفس على سجيتها فى مثل هذه الملابسات

فالرواية لها فكرة عامة خرج بها المؤلف من بعث هؤلاء الذين بعثوا . وفيها تشاؤم متغلغل خفى نكتفى بالتنويه به تاركين للقراء اكتناهه .

كما أن كل فصل من الفصول الأربعة يكاد يكون له فكرة خاصة يدور على محورها . فهو يعرض فى الفصل الاول للأيمان وصنوفه : فثمة ايمان الراعى الموروث فى رسوخه وبساطته من غير تحليل ولا تعليل ، فهو ايمان التسليم الخاشع والعاطفة الجميلة الساذجة . فاسمع اليه يروى يوم أن ذهب الى المدينة فى بعض شأنه ، فلمح خارج أسوارها راهباً يتكلم فى جمع صغير بين خرائب قديمة تخفيهم عن الأعين ؛ فاقترب وأصغى اليه ، فاذا به كأنما انقلب إنساناً آخر . فلما سأله صاحباه فى الكهف عما كان يقوله الراهب : قال : « لست أذكر شيئاً مما قال ، لكنى لن أنسى ماشعرت به إذ ذاك ، إحساس لم يعترنى فى حياتى من قبل إلا مرة ، إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب ؛ فأشرفت على منظر بالخلاء لم أر أجمل منه ، فلبثت ليلتى أفكر وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الاحلام ؟ أم قبل أن أولد ؟ . إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولا منى . وقمت فى الفجر فذكرت صورة البارحة ، وفجأة برقت فى رأسى فكرة : هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الازل ، منذ وجدت الخليقة . هذا الاحساس بعينه هو ما شعرت به وأنا أصغى الى الراهب . إن كلامه الذى أسمعه لاول مرة ليس مع ذلك جديداً عندى . أين سمعته ومتى ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الحلم ؟ أقبل أن ولدت ؟ وتولدت فى نفسى عقيدة أن هذا الكلام هو الحق ، إذ لا أتصور بدء الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه . . . »

أما المستشاران فهما بطبيعة تعليمهما وحداثة عهدهما بالعقيدة يؤمنان ايمان العقل والمنطق . فلا شأن لله فيما وقعا فيه بل هما اللذان أوقعا نفسيهما فى التهلكة . وهما يفكران فى أمرهما أكثر من تفكيرهما فى الله . واذا صليا له فلكى يسألانه الخير ـ هذا لامرأته وولده وذاك لحبيبته . والحب يبتلع كل شىء حتى الايمان لأنه ايمان أقوى من كل ايمان . وما دام الله قد خلق للناس قلوبا فقد نزل عن بعض حقه عليهم . . . واذا هما قابلا بين ايمانهما هذا وايمان الراعى قدرا فى تحليل وتعليل أن صاحبهما خلى : فما يضيره أن يمنح قلبه كله لله أو للشيطان

ثم ايمان المرأة ، فقد كان حسب ابنة الملك أن تسمع الفتى الذى تحبه يقول لها وهى فى ثياب بيضاء تخطر فى بهو الأعمدة فى هدأة الليل وسكون القصر « إنك ملك من ملائكة السماء » ، وأن تعلم منه أن هذا فى المسيحية اسم لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات الارض ، حتى رضيت نفسها عن المسيحية وارتاحت لها بحافز مما فى الاحياء عامة وفى المرأة خاصة من الانانية الكامنة .

ويأتى الفصل الثانى فتراه يعالج فى مطلعه طبيعة المرأة . فهى أبدا امرأة ، قديسة كانت أو غير قديسة ، ملكة أو من بنات السوقة فاذا قيل ارتباط بعهد مقدس لم يخطر لها انه مع الله بل حسبته مع من تختاره قلبها . فقلب المرأة يتسع دائما لله وغير الله . ولعل القديسة كانت تفضل أن تكون امرأة لو أنها استطاعت .

والفصل الثالث عن الزمن . فالمؤلف يشعرك بأنه لا حقيقة للزمن خارج شعورنا وأنه على قدر تطور شعورنا تكون حركة الزمن . فكل واحد من أهل الكهف لم يشعر بشقة الزمن الذى غبر حتى أحس بالشقة السحيقة بينه وبين من حواليه فى الشعور . والذى أطال وهم أصغر فتية الكهف أنه التقى بمن تشبه حبيبته ، وتكاد تكون

مثالا لتقمص روحها ، فلم يصدق دورة الزمن حتى حدث له ما حدث . ثم اسمع لقائل منهم يقول : « حياة جديدة ! إن مجرد الحياة لا قيمة لها . ان الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب لهي أقل من العدم بل ليس هناك قط عدم . ما العدم إلا حياة مطلقة »

والفصل الأخير يعرض لحيرة العقل فى الحد بين الوهم والحقيقة ، وما يعترض المعرفة الصحيحة من عقبات لقيام العواطف الداخلية والمؤثرات الخارجية ، وكيف اختلاط الحقيقة بالوهم بحيث يرفع الخيال عالم الواقع ويجمل الحلم عالم اليقظة ، كما يفعل الفنى بمادته من الحياة فيسبغ عليها من عبقريته معنى فنيا من جمال أو فظاعة لم يكن لها

أسلوب التأليف

المؤلف خبير بالقصة المسرحية ، وما يدخل هذه الصناعة من التفنن والاحتيال . فلم يغفل عن شىء فيه تقوية العمل والحركة فى روايته . وقد بث فى أثناء كل فصل من فصولها المفاجأة بعد المفاجأة فكلما استقرت حواسك وألفت من القصة مسلكا ، ابتدهك بما يجدد اهتمامك ويفززك ، فلا يدركك فتور ولا ركدة . والعجيب أنك على عرفانك بوقائع القصة المروية فأنه يسوقها فى نظام يجعل شعورك بها جديدا ، ولا يسردها سرداً فى نفس واحد ، بل يفرط عقدها حبة حبة بين حين وآخر فى ظرفها الملائم وموقعها المناسب ، فاذا كل واقعة تفعل فى نفسك كأنه أول عهد لك بها . كما أنه لا يفتأ يستغل كل جزء منها فى أصغر تفاصيله ويستنبطه حتى آخر قطرة فلا يتركه بعده الا مصاصة جافة . ومؤلفنا من طبيعة ذهنه الاستطراد والتنقل من فكرة الى فكرة ومن أحساس الى إحساس ، تتداعى جميعها فى سبحات حالمة دون ان يكون سياقها منبتاً وعراها متفككة ومن ديدنه أحيانا تكرار الجمل وترديد الخواطر فى مواضع تشعرك بتعلق القوم بأمل ضعيف واه يعيدون فيه ويستأنفونه محاولين بهذا إقناع أنفسهم . ثم ان عنده مقدرة بارزة الأثر فى تعقيد المواقف وخلق سوء التفاهم بحيث يتكلم كل فريق ويتصرف بما يفهمه الآخر على غير الوجه المقصود وإن كان يحتمله منطوقه . وله ها وهناك فكاهة دقيقة تجمع فى بعض الاحايين بين الفكه والفاجع ويتجاور فيها الدمع والابتسام

وعبارة الكاتب فيها قصد وايجاز تغنى بالاشارة عن الافاضة وتنطوى على ايحاء يفتح للقارىء نوافذ وكوى على آفاق وأجواء . وفيه شاعرية غنية تمده بالجمل قالباً ودلالة . فيقول مثلا عن أساطير الأمم أنها ضمير الشعب . ويقول على لسان أحد فتية الكهف وقد برم بالحياة فى هذا الوسط الجديد « إلى الكهف ، الكهف كل ما نعرف من مقر فى هذا الوجود ، الكهف هو الحلقة التى تصلنا بعالمنا المفقود » وعلى لسان آخر منهم « أننا أشباح . لسنا ملك الزمن . إنما نحن ملك التاريخ . وقد هربنا منه . فالتاريخ ينتقم ! »

كذلك قصة أورشيا فهى فى ذاتها جميلة رائعة ويزيد فى روعة جمالها موضعها من قصة أهل الكهف لما بينهما من مقابلة ، ولو أنه يخشى ألا يكون للرومان والمسيحيين الأوائل علم بأساطير اليابان فى عزلتها العتيدة

وإلى هذا الملكة فى التصوير ملحوظة . وأبرع مثال عليها وصف الراعى لاحساسه بالغربة فى هذه البيئة المستحدثة :

« آه لو تعلمان ما رأيت الآن فى شارع بطرسوس ، إن كانت هذه بعد مدينة طرسوس ! لو رأيتمانى وقد أحاطت بى ناس فى ثياب غريبة وعلى وجوههم ملامح غريبة . وأينما سرت فهم فى إثرى بنظراتهم المستطلعة الحذرة . وكأنهم يتفحصون أمرى تفحص من يحسبنى من عالم الجن . لا أستطيع مخاطبة أحد منهم ، وإن فعلت فلا أحسبنى أجد مجيبا بل نظرات صامتة مفزوعة . . . بل إنى سمعت اثناء هذا نباحا خافتا مخنوقا ، فانتبهت فألفيت كلبى قطميرا كذلك قد أحاطت به كلاب المدينة ، وطفقت ترمقه وتشمه كأنه حيوان عجيب . وهو يحاول الخلاص من خناقها ولا يجد الى ذلك سبيلا . وجرى المسكين أخيراً الى جدار قريب ووقع تحته اعياء . ورعبا ، والكلاب فى أثره ، حتى وقفت منه على قيد خطوة . تعيد النظر اليه ، ويريد بعضها الدنو منه لمعاودة شمه فيقصيها الحذر . . . هذا أنا ، وهذا كلبى قطمير فى هذه الحياة الجديدة »

وله أيضا زكانة لادراك العواطف المركبة وتحليلها ، كاستمتاع بريسكا بعنف فتى الكهف فى كلامه معها يحسب أنها حبيبته تلك التى عاهدته فى العصور الغابرة وأنها خانته وحنثت بعهده ، فهى وإن صدمها عنف هذا الخطاب الا أنه يشعرها بأنها محبوبة — ولو وهما ، يشعرها بعاطفة الحب التى تعيش كل امرأة فى انتظارها

كذلك له توفيقات عجيبة نذكر منها على قبيل المثل أنه يجعل الراعى أول من استيقظ من أهل الكهف كعادة الرعاة فى التبكير ويتلوه مرنوش لأنه أكبر الصاحبين سنا والمرء يقل نومه كلما تقدم به العمر ، وأخيرا مشلينيا لأنه فتى والفتيان نومهم عميق . ونجتزىء لضيق المقام بهذا المثل . ولا نحسب أن المؤلف حسب لكل هذه التوفيقات حسابها الدقيق ودبر لها التدابير . ولكنها — فيما نعلمه عن المؤلف — الهام ذوقه الفنى . وان هذا الذوق الفنى العميق الشعور هو فيما يكتب هاديه ومسدد خطاه

الختام

فقصة الكهف قد استوفاها مؤلفها الشاب من ناحية التأليف المسرحى ورسم الشخصيات وعمق التفكير وجمال الحوار . ولاشك أن القارىء لا يفرغ منها حتى يقول : هذا الفتى فنان حتى أطراف أنامله .